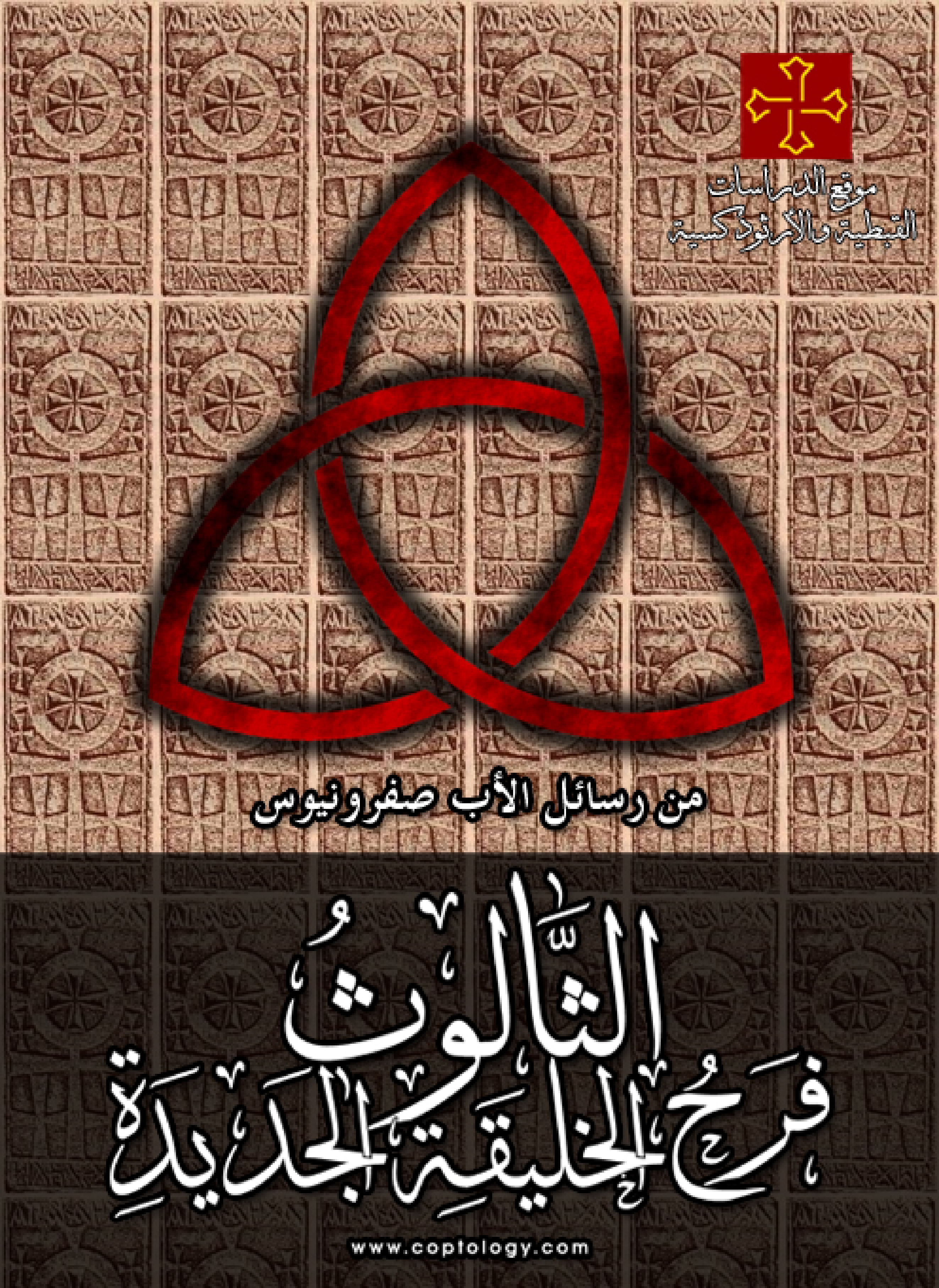


موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
من رسائل الأب صفرونيوس
الثالوث
فرح الخليقة الجديدة
www.coptology.com



الثالوث فرح الخليقة الجديدة

من رسائل الأب صفرونيوس

جدول المحتويات

تقديم

تتميز كتابات القديس صفرونيوس - كسائر كتابات الآباء القديسين - بالسمو والعمق الروحاني، وصفاء الرؤية اللاهوتية. هذه العوامل قد توافرت له من خلال حياته النُسكية وشركته العميقة مع الله. واستطاع أن يُعبِّر عنها بتواضعٍ كامل، فازدادت بهاءً ونورانيةً.

وقد تُرجمت له أوَّل رسائله - عن الخوف - في كُتيبٍ نُشِرَ سابقاً، ولاقى تقديراً واستحساناً عظيماً، مما شجع القائمين على هذا العمل على ترجمة هذه الرسالة عن الفرح - فرح الخليقة الجديدة - وارتباط عقيدة الثالوث بالخليقة والكون والإنسان.

وقد ساق في كتابته عدة أمثلة بديعة مدعمة بآياتٍ من الكتاب المقدس، ليقدم لنا مفاهيم الروحانية الأُرثوذكسية في البُعدين الروحي والتطبيقي لعقيدة الثالوث الإله الواحد.

إن هذه الرسالة ستساعد القارئ المُتأني على إدراك منطق محبة يسوع الابن المُخلِّص، وإنه لا خلاص بدون تمايُز الأقانيم، الأمر الذي جاءنا حسب إعلان إلهي، وليس حسب اجتهادات بشرية، أو أفكار فلسفية، وحيَّر عقول كثيرين.

ولقد استطاع القديس صفرونيوس - لاسيما في الفقرات من ٦١ إلى نهاية الرسالة - أن يُدخِل اللاهوتيات بمنهج تطبيقي في الحياة الروحية للإنسان المسيحي. ثم بيَّن تأثير ذلك عملياً على اختبار البنوة الحقيقية لله، والشركة في جسد المسيح الواحد، ومفهوم الخليقة الجديدة، والولادة الجديدة في المسيح، ثم كيف يَثبُت الإنسان المسيحي في حياته الجديدة بعمل الروح القُدس.

ثم ختم رسالته المُباركة بقوله:" أتوسل إلى الآب السماوي الذي أعطانا حياة ابنه لكي نحيا به وفيه، أن يكون لنا فرح الخليقة الجديدة بالثالوث القـــدوس، وأن لا نتزعزع عن الطريق الذي نسير فيه أو نحيد عنه؛ لأنه طريق القديســـين؛ ولأنـــه ذات الطريق الذي رسمه لنا ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي قال أنا هو الطريـــق إلى الحيـــاة الحقيقية. صفرونيوس يسأل بركة صلواتكم.

القمص أنطونيوس أمين

راعي كنيسة مار مرقس

مصر الجديدة

هذا النص:

المعرفة الروحية حسب تراث الأُرثوذكسية

لا تخلو كتابات الآباء من الاهتمام الواضح بالمعرفة الإنسانية بشكل عام. لقد كان العلاَّمة أُوريجينوس هو أوَّل لاهوتي مسيحي حاول أن يُنظِّم هذا الموضوع، وذلك عندما وضع أوَّل كتاب لاهوت نظامي *Systematic* في تاريخ المسيحية، وهو كتاب المبادئ. فقد قسَّم الإيمان إلى ثلاثة أجزاء: جزءٌ خاص بالآب، والجزء الثاني بالابن، والأخير للروح القدس. كما قدَّم أُوريجينوس أساس وقواعد المعرفة، أي قواعد المعرفة الجديدة في العظات على سفر "نشيد الأناشيد".

ولا يسمح مجال هذه الدراسة الُموجزة بأن نحلل جوانب ومصادر ونوع المعرفة الروحية عند أُوريجينوس نفسه، بل وفي رسائل الأنبا أنطونيوس، والقديس أثناسيوس الرسولي، ويوحنا الدرجي، وإسحق السرياني.....فالموضوع كبير جداً ومتشعب، ويحتاج إلى أكثر من مجلد، وهذه ليست مبالغة، لأننا في إيجاز شديد نستطيع أن نرى أن المعرفة في تراثنا المسيحي تتوزع إلى سبعة فروع، وهي:-

١- المعرفة العلمية، وهي تلك التي تنشأ في دائرة العلوم، وتبقى في دائرة العلوم.

٢- المعرفة الاستدلالية، أو الفلسفية، التي تولد داخل فروع الفلسفة، ولها القواعد الخاصة بها التي تُميِّز الفلسفة والمنطق.

٣- المعرفة اللدُنية، وهي تلك التي يسكُبها الروح القُدس في فكر الإنسان وقلبه، وهي هبة الله لكل إنسان، وهي معرفة شخصية.

٤- المعرفة المُكتسبة من البيئة والمجتمع، وهي المعرفة السائدة التي نحصل عليها بالحياة الإنسانية، وهي محدودة بالزمان الذي نعيش فيه.

٥- المعرفة التي تولد من كلمة الله في الأسفار المقدسة، وهي المعرفة التي تأتي من الوحي، والكتابات الإلهية.

٦- المعرفة التي تولد وتنمو من الالتصاق بالشريعة الأخلاقية، أي معرفة الخير والشر، وهي متصلة بالفروع السابقة.

٧- المعرفة التي يحصل عليها المسيحي من الشركة في حياة الرب يسوع المسيح، وبسبب اختباره للتطهير الذي يقوم به الروح القُدس، وهي معرفة تسمى أحياناً الحكمة الإلهية، أو التمييز والإفراز، ونور الروح القُدس، وهي أعلى درجات المعرفة الروحية.

هذه الفروع السبعة لا يفصلها عن بعضها البعض إلاَّ القليل، ونحن جميعاً ننال قدراً منها، كلٌ حسب حياته ومكانه في الكنيسة، جسد المسيح.

المعرفة في نص هذه الرسالة:

تمتاز رسائل الأب صفرونيوس بدقة لاهوتية كبيرة، وتحتاج إلى دراسة جادة، وبشكل خاص، علاقة هذه الرسائل بكتابات الآباء. لقد كتب الأب صفرونيوس رسالتين عن القيامة والإفخارستيا، شرح فيهما الكثير من جوانب المعرفة الروحية، وأكد فيها على حقيقة هامة أوجزها القديس غريغوريوس النزينزي عن حاجتنا إلى لُغة إنسانية جديدة تشرح، وتُعبِّر عن تجسد الابن والتدبير الإلهي (المقالة اللاهوتية ٤ : ٩٠). هذه اللغة الجديدة بدأت تتكون في كتابات آباء الإسكندرية، وبدأت، بشكل خاص، فيما يوصف الآن – حسب المصطلحات العربية الدارجة عندنا – بالتأويل الرمزي، وهي ترجمة غير دقيقة للكلمة اليونانية Tυπο أو Type، وهي ليست رمزاً، بل المثال. والتأويل حسب المثال، هو شرحٌ للنص في ضوء تجسد الابن

وصلبه وقيامته. وبالتالي، فهو ليس خيالاً بشرياً يفرض نفسه على نص الكتاب المقدس، بل هو" استلهام" معاني الكلمات من حياة المسيح، ومن التعليم الرسولي.

كان القديس بولس الرسول هو أوَّل مَن استخدم هاجر وسارة كمثالين للعهدين، الجديد الذي تمثله سارة، والقديم الذي تمثله هاجر(غلا ٤: ٢١ - ٣١). وهاجر تمثل اليهودية، بينما سارة من كنيسة العهد الجديد التي فيها ننال الميلاد من فوق، مثل ولادة إسحق.

هكذا تطورت اللغة الإنسانية في العهد الجديد، وصارت للمعرفة الجديدة قواعد، ومنطق جديد، وقد شرح الأب صفرونيوس هذه القواعد في رسالة للأب زكريا أحد رهبان ديره، ولمس بعض جوانبها في هذه الرسالة. وإن كان الأب صفرونيوس يؤكد هنا بشكل خاص، ما يلي:-

١- أهمية المعرفة العقلية التي تحلل وتدرس حسب قواعد المنطق والفلسفة... ومجال هذه المعرفة هو المخلوقات؛ لأن قواعد الفلسفة والمنطق رُسِمَت للبشر، ولدراسة المخلوقات (فقرة ٤).

٢- معرفة الخير والشر، وهي المعرفة التي غُرِسَت في قلب الإنسان، وفي وجدانه (فقرة ٦).

٣- ومن المعرفة الحسية تولد المعرفة الروحية، وقدَّم الأب صفرونيوس المثال الصارخ على ذلك، وهو موضوع البنوة، حيث تطورت اللغة، وارتفعت من المعنى الحسي إلى المعنى الروحي (فقرة ٨)، وهو ما يجعل المعرفة تتحول إلى رموزٍ وعلاماتٍ تدل على الحياة الجديدة الغنية بأسرارها، والتي يعلنها الروح القُدس.

٤- وقدم الأب صفرونيوس بعد ذلك إحدى قواعد المنطق الخاص بالمعرفة الجديدة، وهي المقارنة بين منطق المحبة، ومنطق الحسد. والمقارنة بين منطق المحبة، ومنطق الحسد جدير بالدراسة والتحليل، لأن قواعد منطق الحسد تفرض على الإنسان الأنانية،

والغضب، والشهوات، هذه الرذائل تُملي على الإنسان السلوك الخاطئ الذي يُستعبَد فيه الإنسان لمنطق الخطية الغريب على منطق المحبة.

منطق المحبة كما أسسه ربنا يسوع:

من التجسد والصليب والقيامة، ندرك أن المنطق الجديد:

١- لا يفصل بين الوسيلة والغاية، وهذا يفرض علينا نظرة كلية شاملة للإيمان لا تسمح بالتقسيم والفصل.

٢- لا يفصل بين الهبة والواهب؛ لأن هذا الفصل هو عمل الشيطان الذي يختار الهبة، ويترك الواهب، ويفصل بين الوسيلة والغاية، ويخلق لذلك التبرير العقلي لكل الشرور (فقرة ١٢).

وهنا، وحتى تُنشر كل مؤلفات الأب صفرونيوس، نكتفي بأن نُذَكِّر القارئ بالحقائق التالية:-

أولاً: إن جمع الوسيلة والغاية في المسيح، بل واحدية الوسيلة والغاية هو الذي يؤسِّس اللاهوت الحقيقي الذي تسود فيه تلك النظرة الشاملة، والتي تجعلنا نقرأ الأسفار المقدسة بشكل جديد، وصفه الأب صفرونيوس في رسالته للأب زكريا بأن لُغة الأسفار صعبة على مَن يفصل بين الوسيلة والغاية، وإن كل مشاكل الهرطقات نابعة من العجز عن إدراك غاية كلمات الله والوقوف عند الكلمات وحدها، وفقدان النظرة الشاملة التي تحددها الغاية.

ثانياً: وواحدية الهبة والواهب تعطي للمحبة الإلهية طابعاً خاصاً، وهو تأهيل وتوظيف كل الخبرات والكلمات لكي تدرك تواضع الله، ومنطق المحبة نفسه الذي يمتاز بالبذل (فقرة ١٣). ومن هذه النقطة ينطلق الأب صفرونيوس لكي يشرح الثالوث.

الثالوث حسب منطق محبة يسوع المسيح:

استخدم الأب صفرونيوس تعبيرات مدهشة جديدة على اللغة اللاهوتية، فقد وصف كلمة أُقنوم بأنها مفتاح الحياة الجديدة، مع الأخذ في الاعتبار أن الأب صفرونيوس لا يفصل بين الحياة، والمحبة، والمعرفة...فهذه كلها بنية واحدة حسب الإعلان الجديد في ربنا يسوع المسيح، وذلك:

أولاً: لأن الإعلان الجديد أبطل أسباب التباعد والانقسام الذي دخل مع الخطية (فقرة ٢١).

ثانياً: لقد قضى الإعلان الجديد على الفصل بين الكلمة والحياة، أي وسيلة المعرفة (وهي الكلمة والحياة) التي تُولد وتنال التجديد في المسيح لكي تنال كل كلمة قوتها ومعناها من المثال والسلوك (فقرة ٢٠)، ولذلك، وحَّد هذا الإعلان بين الوسيلة والغاية.

ثالثاً: في رسالتيه عن القيامة والإفخارستيا، شرح الأب صفرونيوس التحوُّل الذي حدث للطبيعة الإنسانية، إلاَّ أنه اكتفى – في هذه الرسالة – بشرح تجديد الطبيعة الإنسانية على هذا النحو:

١– إن الوهم الذي غرسته الخطية، أبطله الوحي.

٢– إن الرذائل قد تأخذ شكل القوة والعزة (فقرة ٢١).

٣– إن الوجود الزائف الذي "جذره في الفراغ أو العدم"، هو الوجود الذي حوَّل تعدُد وتنوع الخليقة إلى صراعاتٍ وموت، لكن بولادة الخليقة الجديدة، تعود إلى الوحدة في المسيح.

هذه الموضوعات تحتاج إلى دراسات مطولة، وإلى تأصيلٍ من كتابات الآباء السابقين على كتابات الأب صفرونيوس، ولكننا نكتفي هنا بتأكيد ثلاثة حقائق

خاصة بالثالوث:-

أولاً: لقد ترك الثالوث بصمةً قويةً على الخليقة. ومن التنوع والتمايز والوحدة، يرتفع فكر الإنسان من تأمل ما هو منظور إلى تأمل ما هو غير منظور. هذه المعرفة تنال معونة الوحي، وعمل الروح القُدس (فقرة ٣٢)، لأن إدراك الحق الخاص بالله لا يأتي من مجرد تأمل الخليقة، بل من نور الروح القُدس الذي يقود هذا التأمل برفق نحو إدراك إعلان الله.

ثانياً: عودة الإنسان إلى إدراك كيانه ومعرفة نفسه. وهنا يكتب الأب صفرونيوس عبارة ذات دلالة هامة "على قدر ما يعرف الإنسان نفسه، يعرف الله" (فقرة ٣٣)، لأن المعرفة الإنسانية لا يمكن فصلها عن حياة الإنسان، وبقدر درجة نقاء الصورة الإلهية التي أُعطيت للإنسان من الله، تنال هذه المعرفة تجديداً في المسيح.

ثالثاً: تقود المعرفةُ الإنسانَ نحو التشبُّه، إمَّا بنفسه، وإمَّا بالله. وهكذا يدرك الإنسان أن الشركة مبدأٌ إلهيٌ، ولذلك لا يمكن للوجود أن يبقى بدون التشبه - على مستوى الشركة - بالله الثالوث (فقرة ٣٥).

معرفتنا بالله كثالوث:

حدد الأب صفرونيوس ما هو معروفٌ لنا من كتابات الآباء، ألا وهو أن اللغةَ أداةٌ إلهيةٌ بشرية (فقرة ٤٣ - ٤٦)، وإن أداة اللغة هي الكلمة "نحن لا نملك أي شركة مع الله بدون الكلمة، ولا يمكن أن تنشأ بيننا وبين غيرنا علاقة بدون الكلمة" (فقرة ٤٤).

ولأن الخطية هي التي أدخلت التباعد والانفصال، لا يجب أن نفصل بين الكلمة وعمل الروح القُدس الذي يُعطي "اللسان الجديد"، وهو اللسان الذي يعاني الآن من سوء استخدام الحركة الخمسينية له، لأنه لسان جديد ينطق بمعرفة جديدة، ويُعطى كلام حكمة بالرُّوح القُدس (١كو ١٢: ٨) (راجع فقرة ٥٠). وكما تُعلن

الكلمة الإنسانية حقيقة روح الإنسان (فقرة ٥١)، تُعلن الكلمة الإلهية تواضع الله وقدرة الابن (فقرة ٥٤).

ويربط الأب صفرونيوس بين تنوع الكلمة وعمل الله الواحد المتنوع، ومن تنوع المواهب الروحية داخل الكنيسة، وتنوع الرتب السماوية، يدرك الإنسان إن التنوع هو أساس الشركة "توزيع العمل يعني تعدُد الأشخاص" (فقرة ٥٧)، وإن كان على – المستوى الإلهي – يوجد في الثالوث إرادة واحدة.

ونلاحظ أن الأب صفرونيوس قد لَمَسَ – في سرعةٍ – حلول الثالوث في الكائنات، وقيادة الخليقة بواسطة الابن الكلمة، وبواسطة الروح القُدس، لاسيما سُكنى الثالوث فينا بالرُّوح القُدس، وبسبب الوسيط الواحد ربنا يسوع المسيح. هذا الموضوع شُرِحَ بكفايةٍ في رسالةٍ موجزة كُتبت في عيد العُنصرة للأُخوة المبتدئين في حياة الرهبنة.

الثالوث وخلاص الإنسان:

يؤكد الأب صفرونيوس أن الثالوث خاص بإعلان الخلاص. وشركتنا في بنوة الابن تفتح لنا مجال معرفة الآب الذي منه هذه البنوة، ومعرفة الروح القُدس الذي به ننال شركتنا في المسيح. وقد حدد الأب صفرونيوس شركة الثالوث في الخلاص بعباراتٍ موجزةٍ شاملةٍ مثل "كل أُقنوم يجود بعطية خاصةٍ به، أي العطية الصادرة من الصفة الأُقنومية التي تميِّزه" (فقرة ٦١)، وهكذا تمايُز كل أُقنوم يحدد لنا شركة كل أُقنوم في تدبير الخلاص (فقرة٦١ كلها).

ولعل أهم تحذير ينقله الأب صفرونيوس عن معلمه ديونيسيوس الكبير هو التحذير من المعرفة والتصورات الإنسانية التي تولد من المُخيلة التي تتصور الانفصال والاغتراب، وتفرض هذا التصور على الثالوث، ولذلك قدَّم وصيةً هامةً، ألا وهي تدريب المخيلة لكي تميِّز بين الانفصال والوحدة (فقرة ٦٢ هامة جداً).

ومن الإفخارستيا، وهو سر الوحدة والتمايُز، ينقل الأب صفرونيوس عن الأب زكريا الصغير إن توزيع جسد المسيح في هذا السر، هو صورة جسد القيامة الذي هو واحد في الكل (فقرة ٧٠).

الثالوث وحدانية حقيقية:

الفقرات من ٧٢ - ٨٣ هي قلب الرسالة، ولذلك نتركها للقارئ لكي يتذوقها، فهي حُلوة مثل العسل، بل هي عسل الأُرثوذكسية الصافي[1].

---

(١) سبق أن نُشِرَ هذا الكتاب مطبوعاً في عيد الظهور الإلهي سنة ٢٠٠٠.

الثَّالوث،

فرحُ الخليقةِ الجديدةِ[1]

مُقدِّمة:

١- صفرونيوس خادم الرب يسوع المسيح، والذي لا يخجل مِن أنْ يقول مع رسول المسيح: "**عبدٌ ليسوع المسيح**" (رو ١: ١). أطلب صلواتكم عني؛ لأنني أُحاول قدر جَهدي أنْ أكتُب لكم عن "**بحر المحبة الإلهية**"، و"**غِنى اللاهوت**"، الذي لا يُمكن لعقلٍ أنْ يغوصَ فيه إلى أعماقه التي لا تُدرَك.

تأملوا أيها الإخوة اتساع البرِّية، وقبة السماء فوقنا، التي لا يُدرِكها البصــــر، فإذا كان العالم المنظور مملوءٌ بالأسرار، وفوق قدرتنا إدراكه، فكيف يجوز لنا أنْ نتكلم عن الله خالق كل ما هو منظورٍ، وما هو غير منظورٍ؟ .. إنْ كان العقل لا يقـــدر أنْ يُحصي قَطَرَات المياه التي يراها، بل ويشربها الإنسان.. ويعجز عن أنْ يُحصي نجـــوم السماء.. فكيف يُحيط، ويُدرِك أسرار خالق كل هذه؛ أي الله؟!

أدب الحــــــوار:

٢- ليكن لنا الأدب الجَّمُ والوقار، عندما ندخل حضرة الله؛ لأننا أحيانـــا -

---

[1] عنوان هذه الرسالة أُخذ مِن الفِقرة رقم ٢١، والعناوين من وضع المُترجم.

بدون حياءٍ – نسألُ عن أُمورٍ فوق قدرتنا، وعِوضاً عن الوقار والحياء، نقع في الارتباك وفوضَى الفِكر .. جيدٌ ونافعٌ لنا أنْ نصمُت بسبب الجهل، وأنْ لا نخاف أنْ نقول إننا لا نعرف، مِن أن نقع أسرى كبرياء الفكر، ونغضب أو نثور أو نقع في بئر اليأس؛ لأنَّ الاعتراف بالجهل أفضل من الجدل العقيم.

أنواعُ المعرفة:

٣– المعرفةُ أنواعٌ، ولكن الذي يهمُني هنا هو المعرفة العارية عن المحبة .. لأنها في حقيقة الأمر فضول العقل الذي يريد أنْ يدخل إلى أعماق الأشياء، ويتعامل معها بلا حذر. يقول عنها الرسول؛ إنها "**تنفخ**" (١كو ٨: ١)، لأنها معرفةٌ للسيطرة، ومعرفةٌ للسيادة على ما نعرف، وهي تشقُ وتؤسِّس طريق العظمة الباطلة، هي أشبهُ بمعرفة اللص الذي يُريد أنْ يعرف لكي يسرق، ويُريد أنْ يتعلم لكي يُتقِن هذه الرذيلة، وكل ما يعرفه يُسهم في نمو هذا الشَّر في قلبه.

٤– والمعرفة العقلية التي تحلِل الحقائق حسب قواعد المنطق والفلسفة، جيدةٌ ونافعةٌ، إذا كانت تُناقِش وتَدرُس المنظورات، فالله خالق الأشياء، حدَّد لكل كائنٍ طبيعةً، وجعل لكل طبيعةٍ حدوداً رسمها بعنايةٍ، وأصبح الفلاسفةُ همُ أمهر الناس في دراسة ورصد طبائع الأشياء، واكتشاف صفات وعمل كل طبيعة .. هذه المعرفة لا تفيد مَنْ يدرُس الإلهيات ويتأمل أعمال الله مع البشر، لأن طبائع المخلوقات ليست مثل طبيعة أو جوهر الله، وحدود الطبائع المخلوقة رُسِمَت للبشر لكي يتأملوها ويدركون كيف يعيشون في الكون، وهي لذلك لم تُرسَم (تفرض) على الخالق .. وما يجوز، بل إنَّ ما هو نافعٌ للتعامل مع المخلوق، لا يصلح لله، وإلاَّ أصبح عائقاً أمام فهم الخالق. وهكذا، لا يفيد الطب ولا الفلسفة ولا رصد الأجرَام السمائية ولا صناعة العقاقير في اكتشاف ميلاد ربنا بالجسد مِن البتول القديسة مريم والدة الإله، ولا كيف اتحد لاهوته بالناسوت؛ لأن المعرفةَ اللازمة لفحص ميلاده وتجسده هنا هي إعلانٌ إلهيٌ

يُوهَب لنا بالرُّوح القُدس، لا المعرفةُ العقليةُ التي تدرُس المنظورات، وتحلِل وتبحث في طبائع الأشياء المرئية.

٥- ومعرفة قواعد المنطق لازمةٌ لفحص الحُجة والدليل، ولاكتشاف التناقض، أو الباطل في كلام الناس .. ولكن قواعد المنطق، مهما كانت، تعجز أمام عمل الله، الذي رغم أنه أعطَى الحكمةَ للإنسان، وغرس المعرفةَ في قلبه وعقله، إلاَّ أنَّ قواعد معرفة الصواب، مِن الخطأ -رغم ضرورتها- فهي خاصةٌ بنا نحن البشَر، ولا يمكن أنْ تُستخدم كأداةٍ لفحص حكمة الله، لأن حكمة الله أعظم، وطُرق حكمة الله ليست مثل طُرق الحكمة الإنسانية.

وإذا قال إنسانٌ ما إنَّ الله واحدٌ، سأل أهل المنطق عن معنى الكلمة وصحتها، وهي (أي كلمة واحد) تخص المنظور والمرئي، فهي تُستخدَم كرقمٍ يُعطَى عند حساب وعَدِّ الأشياء.. ونحن نؤمن بأنَّ الله غير منظورٍ، ولا يمكن أنْ يُحسَب أو يشار إليه[1]، لأن كل ما نعرفه عن الأرقام لا يليق بنا أنْ نستخدمه للكلام عن الله، بل هو لا يليق بالله؛ لأننا في أبسط وأدق ما يقال عن الله نواجِه عجز اللغة، وضعف قواعد المنطق عن الوصول إلى أبسط حقيقة عن الله، وهي أنه واحدٌ، ولا يوجد له شريكٌ أو نظير .. وإذا قُلنا "**لا شريك**"، فإنَّ النفي بحرف النفي "**لا**"، يعني أننا فقط نُقلِع عن الخطأ، ونعلن براءتنا منه دون أنْ نقول الحقيقة. ونفي الخطأ واجبٌ، ولكن الأعظم منه هو إعلان الحقيقة.

إذن -حسب قواعد المنطق- ما هو المقصود بأن الله واحدٌ؟ والجواب، أي الجواب الذي لا تقبله قواعد المنطق ذاتها، هو أنْ نقارن بين الله وبين مَن نتصور أنه نظيرٌ، أو شريك، وبعد المقارنة نقول إننا أدركنا إنه لا يوجد للخالق نظير أو مثيل. ولما كانت المقارنة مستحيلة على البشر أدركنا إننا لا نملك أنْ نقول إنَّ الله ليس له نظيرٌ،

---

(١) أي ليس كائناً يُشار إليه بالبنان.

أو مثيل، وهذا مستحيل على البشر. ويؤكد الذين درسوا المنطق إنَّ المقارنة بين الله والمخلوقات مستحيلة على البشر؛ لأن المقارنات تجوز بين المتشابهات، أمَّا ما نختلف فيه، وكان الاختلاف ظاهراً، فهو لا يخضع للمقارنة الحقيقية، بل للحدس[١]، وهكذا لا نملك أنْ نقارن ونقيس بقواعد المنطق، الله والكائنات الأُخرى، حتى يمكن أنْ نقول إنه لا يوجد له نظير .. وأين "لا يوجد" هذا النظير، أفي السماء، أم على الأرض؟ .. وهل ذهبنا إلى السماء ورأينا كل مَن فيها، أم طُفنا في الأرض وعرفنا كل مَن عليها؟ .. والحق هو، إنَّ النظير والشريك كان أحد الأوثان التي كسرها الأنبياء، وحرقوها بالنار[٢].

٦- لذلك أتوسل إليكم في محبة الله نفسه أنْ تُميِّزوا بين أنواع المعرفةِ؛ لأن المعرفةَ شجرةٌ عظيمةٌ أكل منها آدم وحواء. وبينما لا تزال البشرية تأكل منها كل يوم، فإنها تمزج هذه المعرفة بالخطيئة، فتحصُد مِن ثمار هذه الشجرة معرفة الخير والشر معاً. معرفة الشر مثل القتل والحسد وسائر الشرور؛ لأنها معرفةٌ عاريةٌ عن المحبة. ومعرفة الخير مثل طلب العدل والسعي الدائم لطلب ما هو نافع وصالح ومقاومة الشرور. وواجبنا حسب تعليم ربنا يسوع المسيح هو أنْ ندرك التمييز بين المعرفة التي تُولَد مِن المحبة، وبين المعرفة العارية عنها؛ لأنَّ هذا هو واجبنا الأوَّل الذي نتعلَّمه في الحياة النُسكية[٣]؛ لأننا نأخذ هذه البذرة المقدَّسة (أي بذرة التمييز)، في سِر المعمودية،

([١]) الحَدْسُ في اللغة، هو الظن والتخمين، وفي الفلسفة، هو اليقين، وهو فعلٌ عقليٌ يُستخدَّم في القياس، وإجمالاً هو سرعة الانتقال من معلوم إلي مجهول، وبحسب ديكارت، هو تصورٌ ينشأ عن نور العقل وحده، حيث يستطيع كل إنسان أن يدرك بالحَدْسِ أنه موجودٌ، وإنه يفكر، وإنه ليس للكرة إلاَّ سطحٌ واحد، وغير ذلك من الأُمور. راجع د. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، الطبعة الثالثة١٩٧٩ دار الثقافة الجديدة - القاهرة ص١٦٧ وما بعدها.

([٢]) وذلك كما فعل موسي النبي، بالعجل الذي صنعه الشعب، راجع خروج ٣٢: ٢٠ (ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل).

([٣]) يعتبِّر التراث القبطي أنَّ الناسك الحقيقي هو "لابس الصليب"، فالناسك هو كل مسيحي يجاهد ليحفظ وصية المسيح بإيمان وحب، وإذا كانت الوصية هي أساس المُمارسة النُسكية، فقد أُضيفت إلي النعمة لكي تحفظ النعمة، **مع ملاحظة أنَّ النُسك لا يُعيد الإنسان إلي الله، بل المسيح وحده** هو الذي يُعيد الإنسان إلي الله. والكلمة اليونانية "النُّسك" من الفعل اليوناني: Askew. ασκεο أي التدريب على شيء مثل الرياضة وفنون القتال. ولقد

ونُمسح بالميرون المُقدَّس؛ لكي تقود مواهبُ الروح القُدس المعرفةَ الإنسانية نحو المحبة، ونتغذّى بالقُوت السمائي، خبز الله النازل مِن فوقٍ الواهب الحياة للعالم (يوحنا ٦: ٣٣)، لكي بالحياة في المسيح ننالُ معرفةً أعظم مِنَ المعرفة التي نحصل عليها بالتعليم وقراءة الكتب النافعة.

المعرفةُ التي تُولَد مِن المحبة:

٧- تُولد المعرفة أولاً من إدراك الأُمور الحسية والمرئية، وأوَّل أدوات هذه المعرفة، الكلمات ولُغة البشَر. ومجالات هذه المعرفة الخليقة المنظورة، أي المياه والأشجار والجبال.. وعندما تتدرج هذه المعرفة وتنتقل من الأُمور الحسية المرئية إلى الأُمور الأعلى العقلية، تتحول مجالات المعرفة الحسية إلى عقلية، وذلك عندما تُحوِّل الكلمات والماديات إلى رموز وعلامات، وتضاف إلى المعاني الحسية المعاني الجديدة التي سلمها الرب يسوع المسيح نفسه بواسطة الرُّسل القديسين.

٨- وعلى سبيل المثال، فالبنوةُ هي حقيقةٌ جسدانية ومرئية نراها حادثةً كل يومٍ في حياتنا .. فنحن جميعاً كنا في يومٍ مِن الأيام - وربما لا نزال - "**الأبناء**" لوالدين .. ولكن هذه البنُوة الجسدانية التي نحصل عليها جميعاً بالولادة مِن أبٍ وأُمٍ، وهي معرفةٌ عامةٌ يعرفها سائر البشَر، وهي خاصةٌ بالطبيعة الإنسانية، ترتفع إلى درجةٍ أعلى بسبب عطية التبني، وذلك عندما يتعذر على العلاقة الجسدانية أنْ تُقدِّم أولاداً وبناتاً. وعندما يعرف بعض الناس عجزهم عن الإنجاب، يجدون في أبناء الآخرين مَنْ يصلُح لأنْ يكون "**ابناً**" بالتبني .. وينال ذلك الابن كل ما يخص الذي وَهَبَ له هذه

ورد الفعل مرة واحدة في سفر أعمال الرسل ٢٤ :١٦. وهو فعل شائع في اللغة اليونانية، ولذلك فالناسك هو المتدرب على الرياضة والقتال، أي ضبط النفس، والنسك الصحيح هو: تدريب على سلوك معين صالح، لا ينال به الإنسان مكافأة على الأعمال الصالحة، بل يؤهل نفسه للبقاء في الصلاح الإلهي، أي نعمة الله. نحن نصوم ونصلي لا لكي ننال شيئاً في المقابل، ولذلك كتب مرقس المتوحد كتابه "ضد الذين يظنون أنهم بالأعمال ينالون ملكوت السموات".

"**البنوة**"، بل يرث اسم والده بالتبني، وتصبح له كل حقوق الابن الطبيعي. فإذا كانت الطبيعة تُعلِّمنا هذه المُمارسة التي تعلو فيها علاقة التبني على ما تُقدِّمه الأجساد وقـــوة الإنجاب مِن علاقةٍ، صار مِن السهل علينا أنْ نفهم – بالمقارنة – كيف يجود الله علينا بعطية "**التبني**" في يسوع المسيح ربنا؟ ... وهنا يجب أنْ نقول إنَّ العلاقة الجديدة بين الأب وابنه بالتبني، قد ارتفعت فوق ما تُقدِّمه العلاقة الجسدانية الطبيعية، إلى ما هو غير طبيعي، إلى علاقة محبة .. وعندما تُحوِّل المحبةُ شيئاً، أو شخصاً، تصير العلاقة أقوى مِن رابطة اللحم والدم، مثل علاقة محبة يوناثان لداود الذي كان يعرف إنَّ داود هو الملك المُرتَقَب، ولكنه أحبه بسبب ما رآه فيه، رغم أنه كان هو المُرشَّح لكرســـي المُلـــك، والذي كان يعرف أنه يجب أن يكون له، ولكنه فضَّل داود على نفسه (راجع ١صـــم ١٨)، ومثل محبة النبي هوشع لزوجته الزانية، وعودته إليها لكي يرفع عار زِناها (راجع هوشع الإصحاحات من ١ إلى ٣) .. وهؤلاء جميعاً كانت لهم المحبة التي تخلق الرابطة الأقوى مِن رابطة الطبيعة، وتجعل المعرفة خادمة للمحبة، وليست السيد الذي يســـود على قوة الإدراك والتمييز.

وهكذا عندما تتطور العلاقة بواسطة المحبة تتغير معاني الألفاظ، فالبنوة الطبيعية بالولادة تصبح مختلفة عن البنوة بالتبني، رغم أنَّ كلاهما يوصف باسم البنوة، وعنـــدما جاء الرب يسوع ببشارة الحياة (إنجيل الحياة) حَوَّل معاني الكلمات الحسية، وأعطى لها المضمون الروحي، وخلق لها الرموز التي تعبِّر عن النعمة، وهكذا نقل التبني من معنـــاه الحسي إلى معناه الإنجيلي، ومِن الولادة الجسدانية إلى الولادة الروحانية، وقد فعل هذا عندما وُلِدَ هو بالجسد ولادةً روحانيةً، أي بالرُّوح القُدس لكي يُشرك الروح القُـــدس في تكوين الخليقة الجديدة.

منطق المحبة كما سلَّمه لنا الرسول بولس:

٩- وهذه هي قواعد منطق معرفة المحبة كما قدَّمها رسول المسيح في إيجـــازٍ

شديدٍ قائلاً: "**المحبةُ تتأنى**" (١كور ١٣: ٤)؛ لأنها تتطلع إلى المستقبل مثل محبة الأُم التي تغسل قذارة الوليد العاجز، وتأمل أنها سوف تراه رجلاً كبيراً نافعاً، ولذلك تراه بعين المحبة، وفي رجاءٍ تعتني به .. وهنا، أناةُ المحبةِ، هي منطقُ المحبةِ؛ لأن المحبةَ ترى المستقبل، ليس كما يراه الفلاسفة.. ولو قالت الأُم: وكيف أعرف أنه سيكون رجلاً فاضلاً؟ .. ربما صار لصاً أو قاتلاً، وربما قتلني أنا نفسي، ووضَعَتْ الشكوك العاقلة مكان الرجاء في المستقبل، وسادت على أفكارها الشكوك، تحوَّلت المعرفة إلى قوةٍ تقتل المحبة، وتُفسِدُ الرجاء وتُضَيِّع طول الأناة.

تغذِّي المحبةُ الفكرَ بالرجاء، وتجعل الرفق والحنان هو جوهر الإدراك لا سيما عندما يكون إدراك الطفل أو الصبي قليلاً، أو عندما يعجز عن الفهم؛ لأن رفق المُعلِّم هو مثل رفق الأُم، يرى المستقبلَ برجاءٍ في نمو العاجز، وكمال المعرفة الذي ينمو قليلاً قليلاً مع الأيام.

ويقول الرسول: "**المحبةُ لا تحسد**" (١كور ١٣: ٤)، ونحن نقول إنَّ "**الموتَ دخل إلي العالم بحسد إبليس**" (سفر الحكمة ٢: ٢٣ - ٢٤، وصلاة الصُلح).. والحسدُ هو شهوة التسلط التي تريد أنْ تنال ما ليس لها، وهو الرغبة في أنْ نُزاحم الآخرين، ونُصبح مثلهم، فإذا عجزنا عن ذلك تحوَّل الحسد إلى بئر شرٍ يفيض بالمرارة والانشقاق .. وكم زرع الحسدُ مِن أشواكٍ حتى بيننا نحن الذين نلبَس صليب ربنا يسوع المسيح الذي بالصليب قتل قوة الحسد عندما قَدَّم ذاته لأجلنا .. والمحبة لا تحسد، لأنها تُعطي، وعندما تُعطي، فهي "**لا تتفاخر**"، وهي كما يقول الرسول لا تتعظم ولا تتعالى، وهي كذلك "**لا تنتفخُ بالعلم الباطل**" (١كو ١٣: ٤) .. لا تنشر السيئات، ولا تجد في سقطات الناس وخطاياهم سوى الحزن والدموع، ومَنْ لا يبكي على خطايا غيره هو أصلاً لم يعرف كيف يبكي على خطاياه، ومَن لا يعرف خطاياه، بل ويشتاق لمعرفة خطايا الناس هو غريبٌ عن ملكوت الله؛ لأن الله الذي يتأنَّى علينا لا يعاملنا حسب خطايانا، وهو يترفق بنا إذ يرى فينا ملوكاً وورثةً لملكوت محبته مع

ابنه يسوع المسيح وبه.

ويُكوِّن الحسد منطق البغضة والعداوة، ويضع له القواعد العقلية المقبولة، والتي تدور كلها حول تفضيل الذات على الآخرين. وهكذا يكشف الصليب عن منطق الحسد؛ لأن الحسد لا يمكن مصالحته مع البذل، بل يقتله البذل بقوة صليب ربنا يسوع المسيح. وهكذا تغرس فينا العداوة قواعد فكرية وعقلية نظن أنها صالحة وجيدة.

١٠- فما هو منطق المحبة الذي لا يسير بالمرة مع منطق المعرفة والعلوم؟ والجواب هو مِن كلمات الرسول نفسه، إذ يقول: "**المحبةُ لا تطلب ما لنفسِها**" (١كو ١٣: ٥)، ولا تترك حقها مطلقاً، لأنها لا تستطيع أن تكُف عن العطاء، وإذا تركت حقها، فقَدَت جوهرها، وهي لا تتباطأ، بل تندفع بقوة العطاء عابرةً موانع حقوقها، لأن حق المحبة هو في العطاء، أمَّا حق المعرفة غير المولودة مِن المحبة، فهو أنْ تأخذ، ولذلك فهي "**تحتدُ، وتظُن السوء، وتفرحُ بالإثم**"، أي عكس ما يذكره الرسول عن المحبة، فهي "**لا تحتد**"، بل تتأنَّي، تعرف الحق تماماً، ومع ذلك "**لا تظُن السوء**"، وعندما ترى الإثمَ تبكي على الخسارة، وتشتعل بالرغبة في ستر العيوب، وهي لذلك "**تحتمل كل شيء**" كما احتمل القديس مكاريوس خطية زانٍ، وجلس على الماجور الذي خبَّأ فيه زانيةً، لكي لا يكشف عار غيره.. أو مثل موسى الأسود، الذي حمل كيس الرمل على ظهره، وترك الرمال تسقط مِن ثقبٍ فيه، وقال إنَّ خطاياه تسير خلفه، ورفض إدانة غيره .. هؤلاء كانت لهم المحبة، ولذلك لم تكن ممارسة التواضع صعبةً عليهم.

وهكذا يظهر لنا منطق المحبة على هذا النحو:

أ- البراهين العقلية التي ترفض أنْ تجعل للشك سيادةً على الفكر، ولذلك تبحث المحبة دائماً عن أعذارٍ تقدمها للساقطين ورجاءٍ لليائسين، وترفض أنْ تحكم لأنها مصدر الرجاء.

ب- الأدلة الدامغة على الشر والخطية تصبح مصدراً لنا في الرفق؛ لأن المحبة ترى

الشر، ولكنها تراه بشكل يختلف عن رؤية الحسد، فهي لا تخاف الشر كما يخافه الحسد، ولذلك تترك الشر يحرق نفسه، وهي أي المحبة هي الحياة التي تتشبه بمن هو الحياة والمحبة، أي الآب السماوي، ولذلك السبب تؤمن بالانتصار على الشر.

١١- لِنحترس أيها الإخوة الأحباء لئلا تكون المعرفةُ التي في قلوبنا معرفةً مولودةً مِن كبرياء الفِكر، أو أنْ تكون معرفةً نافعةً، ولكنها خاصةٌ بالأُمور المادية والمنظورة .. يا ليت الرب يجعلنا نجلس عند قدميه، لكي نتعلم منطق محبة يسوع وقواعدها الأبدية السماوية التي سوف تدوم معنا في هذه الحياة، والحياة الآتية.

منطق محبة يسوع:

١٢- هو جاء إلينا عندما لم نكُن نفكر فيه أو نطلبه.

هو مات لأجلنا، لأن قضية الموت لا يحلها إلاَّ الخالق.

هو أعطانا كل ما له، حتى جسده ودمه، لأن محبته لا تقف عند حدودٍ..
كل هذا وغيره، الذي أخذناه في يسوع المسيح، له منطقٌ خاصٌ به..

أوَّلاً: جاء الله، وافتقدنا مثل نورٍ يُشرق في الظلمة .. هذا هو منطق محبة يسوع الذي لا يمكن أنْ يُنكر جوهره، أو يغيِّر طبيعته رغم شرور الإنسان..

ثانياً: مات لأجلنا. فعندما كانت كل وسائلنا عاجزةً عن رد الحياة إلينا، تطوع هو حُراً واختار الصعب مِن أجل غايةٍ عُظمى، ولم يفصل بين الوسيلة والغاية، بل جعل الوسيلة والغاية واحداً بالعطاء، وهكذا جمع الوسيلة والغاية معاً في الصليب؛ لأن الصليبَ وسيلةٌ، والقيامةُ هي الغاية، ولا يمكن فصل هذا عن هذه.

ثالثاً: لم يحفظ لنفسه شيئاً، بل جعل كل شيءٍ يملكه - مهما كان - عطايا تُعطى بالشركة فيه، وبالإتحاد معه وبه، وجعل الهبة والواهب واحداً كما جعل الوسيلة والغاية واحداً.

نحن لا نُصبح مسيحيين بالكلام، بل بالشركة في حياة المسيح، في بنوته للآب، وفي قوة قيامته، ومجد ملكوته .. هذه ليست كلماتٌ تقال، بل حياةٌ يسكُبها ابن الله فينا بقوة وعطية الروح القُدس.

فماذا إذن تعني قواعد منطق محبة يسوع؟

هي تعني أنَّ الأمانة والوفاء وسائر ما يندرج تحت هذه الكلمة "**الأمانة**"، هي أمانةُ طبعٍ، وصدقُ جوهرٍ، وولاءُ حياةٍ .. هذه تنبع مِن الداخل، مِن الطبيعة الفائقة التي لا تتبدل مهما كانت الظروف.. هذه هي أمانة المحبة؛ لأن الشيطان يوصَف بأنه "**دائم التغيُّر**"[1] .. أمَّا الرب، فهو ثابتٌ لا تحركه شرور الإنسان، وتجعله ينسى جوهره، ولا يمكن للشر مهما كان أنْ يجعل الله يترل عن طبعه، ويتحوَّل إلى شيءٍ آخر.

ووسائل الله لا يمكن أنْ تنفصل عن غايته، فهو لا يختار وسيلةً غريبةً عن الغاية، حتى إنه عندما يؤدِّب، إنما هو يجعل التأديب خسارةً لما هو مؤقتٌ مثل الصحة أو المال لكي يكسب التائب الحياة الباقية.

ولقد جاء الربُ لكي – بالشركة – نتعلم منه وبه كيف سنحيا معه، ليس هنا على الأرض فقط، بل في الحياة السمائية أيضاً.. فهو لا يُعطي أشياءً زائلةً، ولا

([1]) يؤكد مار افرام السرياني إنَّ "سطا" أو "شطا" هي فعل آرامي يُقرأ سطا أو شطا حسب اللهجة الآرامية. ويقول في النشيد ٥٤: فقرة ٩ من أناشيد نصيبين:

"يا شيطان أنت دائم التحوُّل عن طريق الحق.

أنت الذي حوَّلت آدم البائس بالغواية"

وجاء نفس المعنى في نشيد الفردوس ١٥: ١٦. وجاء في التفسير اليهودي القديم المعروف باسم: Numbers Rabba "الشيطان من شطا أي تحوُّل" فقرة ٢٣: ٢٠. ودخلت اللغة العربية كلمة شطط، أي مبالغة وانحراف نحو الخيال الواسع غير المنضبط، كما يقول قاموس اللغة العربية للأُستاذ Lane مجلد ١٠ ص: ٣١٨.شطط من شطا. آرامية وتعني تحوُّل. ولذلك، فالتحوُّل الدائم دون هدف، أو اختيار هدف آخر غير الله، هو حياة الشيطان نفسه.

يُعطي "**فُتات الخبز**"، ولا يُقَدِّم عطايا أرضية، .. بل يُعطي حياته .. هذا هو منطق محبة يسوع، وهو الباب الوحيد الذي يقودنا إلى تأمل جوهر الثالوث القدوس إلى أن نُدركه على قدر ما تحتمل عقولنا.

منطق محبة يسوع، وعقيدة الثَّالوث:

١٣- عندما يُعلِن الله عن نفسه، فالإعلان لا يُعطى على قدر احتياجات البشرية فقط؛ لأن الإعلان عن الذات، هو إعلانٌ كاملٌ لكل أجيال البشَر. واحتياجات البشَر تختلف، بل تتغير.

لقد أعلن الله عن حياته، وهو ما نقصده بعبارة **الجوهر الواحد**، أي الحياة الواحدة التي لا انقسام فيها.. مَنْ يترل إلى حفرةٍ لكي ينقذ ابنه، لا يفقد كرامته ومكانته، بل يصبح عظيماً قوياً؛ لأنه أنقذ حياةً. وهكذا جاء إعلان الحياة الواحدة مِن أجل حياتنا نحن؛ لكي نتعلَّم مِن الله كيف نحيا؟ ... ويختار الذين يطلبون الحياة، عطية الحياة مِن المسيح، لكي بالحياة التي عاشها هو يُدرِكون وحدة جوهر الثَّالوث الآب والابن والرُّوح القُدس.

وكما قلنا إنَّ منطق المحبة هو أنها "**لا تطلب ما لنفسها**"، فأين إذن يقف الإعلان عن الذات وعن سِر المحبة نفسه؟ ما هي الحدود التي يقف عندها الإعلان؟ الجواب؛ لا حدود - مهما كانت - تقف أمام العطاء، أو تحد مِن العطاء.. وهكذا كشف لنا الرب عن العطاء، ورفع غطاء السِّر الإلهي عن ذاته، وأعلن في ذاته إلوهيته وإلوهية الآب وإلوهية الروح القُدس لاهوت واحد في إعلان واحد.

وكما قلنا، إنه هو الذي جاء إلينا، وكشف بذلك عن محبته .. فكيف يجيء إلينا بدون جسدٍ، وإرادةٍ، وعقلٍ، أي بدون نفسٍ بشريةٍ؟ .. كيف يقف المُحب أمام محبوبه بشكلٍ لا يراه ولا يعرفه به؟.. فلو جاء في شكل مُحارب، أو ملكٍ، أو أي شكلٍ آخر، فهذا الشكل لابد وأنْ يتفق مع جوهره، ولأن جوهر الله هو المحبة، أخذ

الناسوت لكي يُعلِن فيه إلوهيته وإلوهية الآب والرُّوح القُدس .. **وعندما جاء إلينا ترك للروح القدس تكوين جسده البشري في أحشاء البتول.. ولم يأخُذ ناسوته مِن أبٍ بشري، بل مِن الآب، أي بإرادة ومسرة الآب لكي نعرف نحن البشر كيف يتم التبني بالمحبة، وبدون الإرادة الجسدانية؟** هكذا وُلِدَ الرب بدون إرادة آدم، أو الجنس البشري لكي يصبح الناسوت مُتَّحِداً مع لاهوت الابن الوحيد، **ويُصبح وهو في الجسد الابن الوحيد للآب الذي لا يوجد له آبٌ آخر غير الله، وحدَّد بذلك المصير الذي سيؤول إليه كل إنسان، لأننا نحن سوف ننتهي بعد ولادتنا مِن الوالدين إلي أنْ يكون كلٌ مِنّا ابناً لله "حسب الرُّوح" الذي كوَّن ناسوت الابن في أحشاء البتول** .. وهو المثال الذي نسير نحوه، وبه نصير معه لكي يكون هو البِكرُ بين إخوةٍ كثيرين (رو ٨: ٢٩).

١٤- وبتجسُّد الابن مِن البتول، أدركنا أنه ابن الآب .. وبميلاده وحياته أدركنا علاقته بالآب مِن التعليم، ومِن المعجزات، ومِن العطايا، ومِن شركة الروح القُدس الذي عمل معه منذ أنْ تكوَّن ناسوته في أحشاء البتول.

لقد أعلن الابنُ بتجسده، وبشركة الروح القُدس – في خدمته – وحدانية جوهر اللاهوت بواسطة الشركة في العمل الواحد، والتي بها نُدرك وحدانية الجوهر والشركة الأزلية قبل خلق العالم، وأنها هي الينبوع الذي منه جاءت البشارة، أي بشارة الحياة.

١٥- وبحياة الابن المُتجسِّد بيننا، أدركنا إلوهيته مِن معجزاته، وأنه قادرٌ على أنْ يَرُدَّ الحياةَ للموتى، ويغفر الخطايا، ويشفي المرضى .. ولما نزل بإرادته إلى حُفرة الموت، قام مِن الموت، وأباد قوة الموت بموته، وداس قوة الهاوية، أي ظلام الموت. وهكذا علمَنا الابن أنه جاء مِن عند الآب، وأنه مُسِحَ بالرُّوح القُدس وأَعلنت القيامة شركة الآب والرُّوح القُدس في هبة الحياة الجديدة التي لا تموت.

١٦- وعلَّمَنا أنَّ إرادته هي ذات إرادة الآب، وإنه بالرُّوح القُدس يُخْرِجُ الشياطين، ويصنع المعجزات، بل قد وَهَبَ هذه القوة للرُّسل القديسين، وصارت لنا

بشارةً واضحةً؛ لأن الآب والروح يشتركان مع الابن المُتجسِّد في كل شـــيءٍ يقولـــه ويعمله دون أنْ يتجسَّد الآب أو الروح القُدس، بل تجَسَّدَ الابن وحده، وقد أكد لنـــا هذا تمايُز الثَّالوث. فالآب أرسل الابن، والابن تجَسَّدَ مِن الروح القُدس الذي كـــوَّن جسده في أحشاء البتول، ثم مَسَحَهُ عندما اعتمد في الأردُن، وهكذا تحققنا مِن إنَّ الله واحدٌ في ثالوث قبل أنْ يُعطي لنا الابن هذه الوصية، ويعلِّمنا له المجد هـــذه الحقيقـــة بقوله: "أذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مت ١٠: ٧ – مـــر ١٦: ١٥)، ثم "وعمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القُدس"(مت ٢٨: ١٩).

كلمة "الأُقنوم" هي مفتاح الحياة الجديدة:

١٧- إذا كُنَّا قد تحدثنا عن منطق المحبة، ومنطق محبة يسوع، فإننا يجـــب أنْ نشرح الآن الأسباب التي لأجلها استعمل الآباء القديسون كلمة "**أُقنوم**"، فهي تعـــني **أوَّلاً**: ما هو كائنٌ، وله وجودٌ حقيقيٌ.

ثانياً: كما تعني، الكائنُ الذي نُدرِك وجوده وحياته مِن خِلال علاقته بغـــيره الذي يشاركه ذات الطبيعة.

فعلى سبيل المثال: بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس، أربعة أشخاص .. كـــلٌ منهم له أُقنومٌ خاصٌ به، هو الكيان أو الشخص الذي يحمل الاسم الخاص به، ولكـــن بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس يشتركون معاً في طبيعةٍ واحدةٍ، هي الطبيعة الإنسانية، أي الانتماء إلى الجنس البشري الذي له طبيعة واحدة هـــي الطبيعـــة الإنســـانية، ولا نستطيع أنْ نقول إنَّ بطرس إنسانٌ، إلاَّ إذا رأينا فيه صفات الطبيعة الإنســـانية مثـــل الإرادة الحُرة والإدراك والحياة والحركة، ولذلك نقول إنَّ بطرس هو أُقنومٌ مُتمايزٌ عن يوحنا بما له مِن صفاتٍ إنسانيةٍ خاصةٍ، توجد في بطرس ولا توجد في يوحنا، ولكـــن رغم تمايزهما إلاَّ أنَّ كليهما إنسانٌ.

١٨- وعلى نفس القياس – مع الفارق – نقول إنَّ الابن هو أُقنومٌ إلهيٌ يتمايزُ

بصفةٍ واحدةٍ هي البنوة، وإنه إلهٌ؛ لأنه مثل الآب في كل شيءٍ، وله كل صفات الآب، وأعلن لنا إلوهيته كابن، لكي نُدرِك مِن بنوته أنه مُتمايزٌ عن الآب، وكذلك الروح القُدس، فهو له صفة التقديس، والتقديس هو عمل الروح القُدس الذي يجعله مُتمايزاً عن الابن، وبه نفهم ونُدرِك إلوهيته؛ لأنه مُتمايزٌ عن الآب والابن. والآب له صفة الأُبوة، فهو أُقنوم الأُبوة في جوهر اللاهوت، وهو الذي به يقوم الجوهر الإلهي كمصدرٍ، أو ينبوعٍ للحياة الإلهية التي تصلنا مِن الآب بالابن في الروح القُدس.

١٩- وهكذا فتح الآباء لنا باب الحياة الجديدة، بإتقان وسيلة التعبير عن سِر الحياة الإلهية باستخدام كلمة أُقنوم **كمفتاحٍ للحياة الجديدة،** لأنها تفتح لنا باب المعرفة، أي المعرفة التي تُولَد مِن المحبة، والتي تختلف عن محبة المعرفة التي قد تُؤدي إلى الهلاك. وقد فتح لنا الآباء هذا الباب لكي بمحبةٍ، ندخل به ونُدرِك أسرار المحبة، لا أسرار جوهر الله؛ لأننا لا نقدر أنْ نُدرِك أسرار جوهر الله، بل نُدرِك فقط ما تُعلنه لنا المحبة عن جوهر الله، ومَنْ يُدرِك أسرار المحبة، ويُمارس المحبة لا يتعثر، أمَّا مَنْ يُحاول، بالفضول وبشموخ الفكر أن يدخل هذا الهيكل المقدَّس، فإنه سريعاً ما يخرج حاملاً معه كل تناقض الفكر وعجزه.

٢٠- تأمل سِر المحبة، كيف تُعطي وتبذل؟ فهي تُعطي أعظم ما تملك، وهكذا أعطانا الآب، ليس فقط ابنه، بل ابنه "**الوحيد**"، "**الحبيب**"، فهو لم يبذل شيئاً، ولا قدَّم لنا آخراً لا يخصه، بل قدَّم لنا أعظم ما عنده، الابن الذي مِن جوهره، والمُساوي له في كل شيءٍ. ولم يأتِ الآبُ إلينا بدون الابن، بل جاء بابنه لكي يُعطي أعظم ما عنده، والذي يقول عنه القديس يوحنا "**الكائن في حضن الآب**" (يوحنا ١: ١٨). وجاء إلينا لكي يُعطي لنا بشارة التبني، وهي بشارةٌ تُؤخَذُ بالشركةِ، ولا تُؤخَذُ بالكلام. وكما سبق وقلنا، **إنَّ الشركة هي منطق محبة يسوع**، ومَنْ أراد أنْ يصير ابناً لله، مثل الابن الوحيد، فهو لا يتعلم ذلك بالقول وحده، بل بتحوُّل الطبيعة الإنسانية مِن طبيعة عبدٍ إلى طبيعة ابن بالنعمةِ، وهو تحوُّلٌ يتم فينا بالإيمان، وبالإتحاد بأُقنوم الابن

المُتجسِّد الذي يفتح لنا نعمة الشركة في بنوته، ويجعلنا فيه وبه أبناء لله الآب، ولذلك تجسَّد الابنُ لكي يُؤسِّسَ عطيةِ التبني، وهي العطيةُ التي أراد الله أنْ يعطيها لنا في ابنه، ولذلك تجسَّد لكي يكون مثالاً ظاهراً للبنوة، ومنح لنا شركةً نتعلمُ فيها منـــه كيـــف نحيا، ونُصلي، ونموت، ونقوم كأبناءٍ للآب السماوي؟

٢١- إنَّ فرح الخليقةِ الجديدةِ، هو فرحٌ بالثَّالوث القدُّوس الذي فيه عـــادت الخليقة المتنوعة من التباعد إلى الوحدة، وإلى حدودها الجديدة التي رسمها الابـــن، وإلى قوام حياتها الأبدية بعطية الآب، أي الروح المحيي رب الخليقة، الروح القُدس الذي منه تأخذ الخليقة الجديدة ثباتها في التقديس، ولقد رَسَمَ الابن هذه العودة بتجسده الـــذي فيه اتحدت طبيعتان، كلٌ منهما من أصلٍ مختلفٍ وجوهرٍ مختلـــفٍ عـــن الآخـــر، أي اللاهوت والناسوت، فزرع بهذا رسم العودة من خلال مصالحة اللاهوت مع الناسوت بتجسده، ومن خلال الوحدة التامة لأُقنومه الإلهي المتجسد. هذا الرسم[١] يصـــل إلى كماله عندما يُرفع الموت والفساد من الطبع الإنساني بعد أنْ يقابله على الصليب وفي القبر وفي الجحيم، فيُبطل بذلك كل أسباب التباعد والانقسام التي دخلت إلى الطبيعة الإنسانية مع الخطية وتأصلت فينا بسبب الموت.

لقد عُدنا مِن الانقسام والتشتُتِ إلى فرح الوحدةِ في ذاك الذي رُفِـــعَ علـــى الصليب لكي يجمع "**المُتفرقِين مِن أبناء الله إلى واحدٍ**" (يو ١١: ٥٢) بسِر الصـــليب، أي سِر البذل الذي فيه نعود مِن عُزلة الخطية إلى شركة البذل. وبالرُّوح القُدس الذي "**يأخُذ مِن الابن**" ويُعطي لنا رسم حياة الابن المُعلَّقة على الصليب، والذي بالصـــليب ينير سِر الموت، لأن الصليب "**أنقذ الموتَ مِن دمار البُطلِ**" وحوَّله إلى قـــوة تجديـــد للجسد، لأننا بالموت ندوس قوانين الطبيعة القديمة، وننطلق إلى حياةٍ جديدةٍ بالقيامة.. لقد حَوَّل الصليب موت الجسد إلى تجديدٍ للجسد، وحرر الإنسان مِن وهـــم البقـــاء

---

(١) حسب ترجمة نيافة الأنبا مكسيموس أُسقف القليوبية المتنيح لكلمة τυπος.

حسب فكر الأب الأوَّل الذي أراد إنْ يكون إلهاً لا يَمَسُّه شيءٌ (تك٣: ٥)، ولا ينقُص منه شيءٌ، بل يبقى إلى الأبد على رسم الإلوهة الكاذبة، أي تلك التي لا تُعطي، خوفاً مِن العطاء، ولا تأخُذ بسبب عزةٍ زائفةٍ زرعتها الكبرياء.

كيف طلب ذلك الإنسان، الخلود بدون نعمة الله وبدون صورته؟ هذا ما يجعلني أرتجف كُلَّما وجَدْتُ نفسي بعيداً عن فكر المسيح، لئلا أُصبحُ صورةً لذاتي، وعند ذلك أجد أن أصل كياني هو في العدم الذي منه جاءت كل الخليقة، حتى طغمات ورُتب السماء.

٢٢- لقد جرد الله، الأبَ الأوَّل مِن نعمة البقاء إلى الأبد حسب الصورة الإلهية؛ لكي يُدرِك أن الوجود لا يصل إلى غايته إلاَّ بالشركة، لأن الوجود حسب الشركة ليس مثل الوجود حسب الانفصال عن الله، وإن الوجود الزائف الذي ارتضاه آدم هو وجودٌ كاذبٌ، جذرهُ في العدم، وجذعه في الخطية. وعندما دخل العدم في فكر الإنسان، سَمَحَ الربُ بموت الأب الأوَّل، لكي لا يبقى في العدم إلى الأبد. وَهَبَهُ الموت، لكي يعتقه مِن الخطية، ووهبه البقاء في الجحيم إلى أن يُشرِق عليه نور الخلاص عندما يسبي الرب - آدم الجديد - الأَسرى والهالكين، وينزع أنياب الهاوية.

لقد جاء السقوط بخلل في الشركة، واختفت الأُلفة من الخليقة، ودخل الموت إلى العالم بالخطية، والخطية بحسد إبليس (حكمة ٢: ٢٤).

٢٣- لقد عُدنا بالابن إلى تعدُّد الخليقة الأولى، ذلك التعدُّد الذي - بسبب الانقسام، الذي جاء مع الخطية - فقدت فيه الخليقة الوحدة، وصار صراع الطبائع هو العنصر المُميِّز للخليقة، ولكنه الآن - بالمسيح - صار لنا تنوع الوحدة بعد أنْ قضى الموت - الذي جاء مع الخطية - على الفرح بالتنوع، وحوَّل الخوفُ مِن الموتِ التنوعَ إلى مجالٍ لممارسة التسلط الذي دخل مع الخطية، وأهلك وحدة الخليقة. لقد كان تعدُّد الخليقة بركةً دائمةً، ولكن دخلت الخطية لكي تحوِّل تعدُّد الخليقةِ إلى تناحُرٍ ونزاعٍ مِن أجل البقاء. وهكذا أفسد الموتُ الحياةَ، وحَوَّل الموتُ فرح التعدُّد إلى حزنٍ وخوفٍ.

فجاء الابن لكي يحررنا مِن فساد الموت، وذلك عندما حوَّل الموتَ بقوة قيامته إلى قوة تجديد. وعندما تجسَّد و"سكن بيننا" كإنسانٍ حوَّل كل الخليقة إليه لكي تتحول فيــه، أي تحت سيادته كمخلصٍ، وكخالقٍ إلى بدايةٍ جديدةٍ.

٢٤- عندما تجسَّد ربُ المجدِ، نزل طواعيةً إلى صورة العبــد، أي الصــورة الإنسانية الساقطة. وحدث أمرٌ عجيبٌ، فقد أخذ الطبيعة الإنسانية الخاطئــة دون أنْ يُخطِئ. أخذ الفاسد القابل للموت، ولكن لم يتسلط عليه الفساد أو المــوت. جــاء التجديد مِن حيث حدث السقوط، ونبع نهر الحياة في أرض الموت، أو كمــا يقــول النبي: "الشعب الجالس في الظلمةِ أبصر نوراً عظيماً، والجالســون في كــورة المــوت وظلاله أشرق عليهم نورٌ" (أش ٩: ٢).

في آدم فَقَدَ الجنس البشري هيبة المَلِك، وتَحَوَّلت صورة الله إلى عبدٍ، لأنه حقاً قِيل لَمن أخذ هذه العطية "ترابٌ أنت، وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، ولم يَعُد ذلك الذي وُهِبَ سلطاناً على كل المخلوقات، يسود عليها، بل تحوَّل إلى مُنازعٍ ينزعُ قُوتَ يومه مِن الأرض، ويأكل ما يمكن أنْ ينزعه .. ففقدت الخليقةُ سلامها.

٢٥- تجسَّد ابن الله في هيئة العبد وصورته، وأخذ شبه الحياة الإنســانية[١]؛ لأنه ظل قُدُّوساً بلا خطية، وحمل هذه الصورة لكي يُطهِّرها وينقلها إلى صورة مجــده وقداسته، ليس بتحوُّل الطبيعة الإنسانية إلى طبيعة إلهية[٢]، بل بتحوُّل المعرفــة والإرادة الإنسانية التي لم تعُد بعد تحيا مستقلةً ومنفصلةً عن الله، بل صارت متحدةً حيةً مقدسةً في أُقنوم الابن، ولما صار في صورة العبد، حَوَّل هذه الصورة مِن الداخل إلى صــورته

---

(١) القديس صفرونيوس يكتب وفي ذهنه صلاة قسمة الأعياد السيدية التي تقول: "الذي نما قليلاً قليلاً بشبه البشر بغير خطية وحده". فالمسيح له المجد إنسانٌ كامل، ولذلك أردف القديس صفرونيوس عبارة "أخذ شبه الحياة الإنسانية"، بأن الابن في التجسد ظل قدوساً بلا خطية.

(٢) المقصود مِن هذه العبارة إن إتحاد اللاهوت بالناسوت لم يحُوِّل الناسوت إلى طبيعة مقدسة بمجرد الإتحاد بها، بل أيضاً بالحياة والمعرفة التي كانت لابن الله المتجسد، (وأمَّا يسوع فكان ينمو في الحكمة والقامة عند الله والناس، لو٢: ٥٢) لأن الخطية حولت آدم إلى الموت، أمَّا قداسة آدم الجديد فهي تحُوُّل المائت إلى حياة.

الإلهية، ووحَّد الصورتين، فلم تعُد صورة الله التي وُهِبَتْ عند خلق آدم الأوَّل، صورةً غريبةً مُوحِشة، بل صورة متناسقة مع صورة الابن. عند ذلك تهللت الخليقـــة بعـــودة سيِّدها آدم الجديد، وعاد "**الرأسُ**" إلى سلطانه، ولذلك مشى علـــى الميـــاه، وبـــارك الخُبزات، وحَوَّل الماء إلى خمرٍ، وأدخل السمك في شِباك بطرس، وبذلك أظهر سلطان آدم القديم على الخليقة، وأُعطِي له ما هو جديد، أي إقامة الموتى، وكل ذلك بالشركة التي لا انفصال فيها، بعد أنْ دمر الانفصال ما هو إلهيٌّ فينا بواسطة الإرادة العاصـــية الشريرة التي سقطت وبواسطة معرفة الشر.

الثَّالوث، والخليقة:

٢٦- لِنفرح بالثَّالوث خالقنا، لأن كل الأشياء تأخُذ وجودها وحدود طبعها (طبيعتها) مِن الآب، وشكل ورسم كيانها مِن الابن، وحياتها مِن الروح القُدس. عملٌ واحدٌ بإرادةٍ واحدةٍ، ونعمةٌ وهبةٌ واحدةٌ للثالوث القدُّوس.

٢٧- لِنفرح بالآب الذي يُعطي لنا الوجود، وبالابن الذي به نتجه نحو غاية وجودنا، أي الراحة والفرح الأبدي في الله، ولِنفرح بالرُّوح القُدس الذي يرسم حياتنا ويُدبِّر الذين يلتصقون به، ويقودهم برفق نحو التقديس.

٢٨- ونحن نأخذ الوجود، أي كيان حياتنا وجوهرها مِن الآب، فهو يُعطي لنا هذه العطية بواسطة ابنه الكلمة الأزلي لكي نصبح مثالاً للابن، أي صورةً لَمن هـــو "**مولودٌ قبل كل الدهور**"، فهو الذي يأخذ كيانه مِـــن الآب، ذات الكيـــان، وذات الحياة، ومِن ذات الجوهر، حيث لا يوجد أعظم وأحقر، وصغير وكبير، بـــل الكـــلُ واحدٍ ومتساوٍ. وعندما نقول إنه يأخُذ، فنحن نعني أنه مثل مياه الينبوع تُولَد دون أنْ تنفصل، وتتدفق دون أنْ تترك مصدرها.

٢٩- وهكذا حدَّد الآباء الإيمان بقولهم "**مولودٌ غير مخلوقٍ**"، وأكَّدوا بذلك أزلية الابن.

أوَّلاً: لأنها حقٌ.

ثانياً: لأن هذه الأزلية هي قاعدة بقاء المؤمنين في حياة الأبد. فالابن يأخذ كيانه الأزلي مِن الآب، لكي يُعطي لنا الوجود والبقاء الأبدي الذي نأخذه منه على رتبة ورسم التبني.

٣٠- وبقولنا "**مولودٌ مِن الآب قبل كل الدهور**"، نكون قد حددنا، ليس فقط أزلية الابن وإلوهيته، بل أيضاً ضمان الخلاص الأبدي، كعملٍ إلهيٍ مِن الآب بالابن، ويوُهَب لنا في أُقنوم الروح القُدس، ينبوع كل الخيرات، و"**كنز كل الصالحات**" (راجع قطع صلاة الساعة الثالثة).

٣١- لا وجود للصلاح والخير خارج الله، ولا وجود لعطاءٍ، مهما كان نوعه إلاَّ الذي مِن الله مباشرةً، أو بإرادته الخالقة أو قوة كلمته الفاعلة في الخليقة. فالأمطار لا تسقط إلاَّ بقوة كلمة الله الخالقة، والأفلاك تتحرك بإرادته، أمَّا الحياة الأبدية، فهي ذات الحياة الإلهية التي لنا في الآب، وأُعلِنت لنا في يسوع المسيح، وهي ليست مثل الأمطار أو الطعام أو حركة الأفلاك والأجرام السماوية، فهذه كلها بإرادة الآب، وهي كائنةٌ خارج جوهر الله، وغريبةٌ عن طبعه الإلهي؛ لأنها مخلوقةٌ، أمَّا شركتنا في الآب بابنه ربنا يسوع المسيح، فهي شركةٌ في علاقة الابن بالآب، وهي عطاء صلاح الطبع الإلهي نفسه، وخير المحبة الإلهية نفسها. **نحن لا نشترك في الله كما نشترك في خيرات الأرض، بل نشترك في اللاهوت مِن خِلال الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.**

يقول الرب إنه يُشرِق شمسه على الأشرار والأبرار (متى ٥: ٤٥)، ولكن النور الحقيقي الذي يُضيء لكل إنسانٍ آتٍ إلى العالم (يوحنا ١: ٩) ليس مثل نور الشمس، لأن نور الشمس هو نورٌ مخلوق لا يدوم، أمَّا النور الأزلي الذي أشرق لنا بمحبة الآب هو نورٌ أزليٌ لا يغيب، وعندما رسم الابن الطبيعةَ الجديدة للإنسانية الجديدة – وكما قلنا إنه جمع في أُقنومه الإلهي ما هو مختلف تماماً حسب جوهره، أي اللاهوت

والناسوت – جعل الابن له المجد من ذلك الاجتماع، الينبوع الحقيقي لكل نعمة وهبة. فقد حدث اتحادٌ فائقٌ لم يفقد فيه اللاهوت جوهره، ولم يتحول الناسوت إلى طبيعة أُخرى، بل نال غنى ومجد وكرامة اللاهوت لكي يؤهِّل الإنسانية الجديدة إلى قبول الثالوث. وقد تم ذلك حسب نعمة الله الوافرة؛ لأن بقاء الناسوت حسب حدود ورسم الناسوت، هو بقاء التمايُز بين الله والإنسان كقاعدة أبدية للشركة. وغنىَ الناسوت بحياة وكرامة ومجد اللاهوت هو علامة شركتنا الأبدية في غنى وحياة وكرامة ومجد اللاهوت. وهكذا، يصبح التعليم بالثالوث ظاهراً ومُعلناً من خلال تجسد الابن ربنا يسوع المسيح له المجد، فهو (أي الثالوث) وحدةٌ مع تمايُزٍ، وشركةٌ مع بقاءِ كل أُقنوم متمايزاً، وقد أخذنا هذه الحقائق من تجسُّد الابن له المجد، ونقلنا هذه الحقائق إلى المعرفة الأولى الثيؤلوجيا (اللاهوتية) التي رفعنا إليها التدبير.

المثال الحقيقي للوجود الحقيقي:

٣٢- بدخول الخطية إلى العالم، دخل الزيف والكذب. وبانحلال الوجود الإنساني وسقوطه تحت سطوة الموت، فسدت المعرفة الإنسانية، وتحولت إلى معرفةٍ مزيفةٍ، لا تقوى على إدراك الحق إلاَّ مِن خلال الإعلان الإلهي نفسه، أي الوحي المُقدَّس وكلمة الله. هكذا جاء الوحي لكي يَرُد الإنسان إلى المعرفة الحقيقية التي كانت له والمُودعة في كيانه الإنساني، والتي أشار إليها سفر الخليقة (التكوين) بكلمة واحدة وهي "نخلق الإنسان على صورتنا" (تكوين ١: ٢٦)، وكلمتي "**الصورة**" و"**المثال**"، تعني وجود ثلاث درجات للمعرفة الإنسانية:

الأولى: وهي معرفة الإنسان لكيانه وقدراته كصورةٍ لله، يرى فيها الله ويُدرِك بواسطة تأمل كيانه، التشابُه بينه وبين الخالق.

الثانية: معرفة الإنسان بما حوله مِن مخلوقاتٍ وُضِعَت لخدمته.

الثالثة: معرفة الله نفسه، وهي أعلي درجات المعرفة، وهي تختلف عن الدرجة

الأولى، والثانية في أنها تُعلَن مِن الله، ولا يملك الإنسان أن يقتحمها، أو يأخذها عنوةً، أو يحصل عليها بالقدرات التي وُهِبَت له. وقد جعلنا هذه الدرجة آخر الدرجات لأنها أعظم وأعلي شأناً مِن الأولى والثانية.

٣٣- ونحن خُلقنا حسب صورة الله، لأن الله خالق كل الأشياء. وحسب هذه الصورة لا تصل إلينا المعرفة مِن الخارج، بل هي في داخلنا. فإذا تقدَّمنا في معرفة الكائنات والأفلاك، فإنَّ هذه المعرفة تجد أصلها في داخلنا، أي عنصر الذكاء وقوة الملاحظة التي وضعها الله فينا. وإذا تقدَّمنا في معرفة أنفسنا، فإن إلهام الروح القُدس يرافق هذه الدرجة، وينقِّي الذين يسألون بإخلاصٍ، لأن هذه المعرفة تُصبح مثل انعكاس الوجود الإنساني على كل شيء. وعلى قدر ما يعرف الإنسان نفسه، يعرف الله، وهذا بسبب وجود صورة الله فينا، وعلى قدر نقاء تلك الصورة، تكون معرفة اللاهوت (الطبيعة الإلهية) فينا نقيةً.

ثالوثية الشركة على مستوى الكون:

٣٤- ونحن، كمثالٍ لله، نفهم مِن خلال تأمُّل صورة الله فينا، كيف تُولَد الأشياء وتنمو، وكيف تتكاثر النباتات، وكيف تُولَد الحيوانات، وكيف يُولَد البشر؟ فالولادة هي ختم الثَّالوث الذي طُبِعَ على الخليقة المنظورة، لكي تُدرِك بالتأمُّل في المنظور، ما هو غير منظور. وهنا التشبُّه بالله، هو تشبُه المثال والصورة بالأصل، ولذلك السبب عينه لا يجب أن نسأل لماذا يُولَد الابن أزلياً مِن الآب، لأن السؤالَ خاصٌ بالطبيعة الإلهية الفائقة الغنية التي منها - كما يقول الرسول - تنال كل أُبوة وبنوة كيانها الخاص بها، لكي تُصبح مثل الله، أي مثل جوهر الطبيعة الإلهية وتتشبه به في الوجود والكينونة، وتنال منه سِر بقائها في هذا الزمان، وسِر دوامها في الأبدية التي هي شركة الخلائق العاقلة في الطبيعة الإلهية. وكل المخلوقات مدعوةٍ إلى شركة مثالٍ، وشركة بقاءٍ، وشركة حياةٍ أبديةٍ.

فشركة المثال هي تشبُّه كل الكائنات المادية وغير العاقلة في وجـــودٍ وبقـــاءٍ كمثالٍ لله. وعلى سبيل المثال تتحد العناصر الأربعة[1]، الماء والتراب والهواء والحرارة في شركةٍ لكي تمنح الحياة والنمو للنباتات والإنسان. والهواء والماء ونور الشمس، أي حرارتها أيضاً هو الذي يجعل كل الكائنات تحيا. هذه هي شركة مثال، أي الإتحاد رغم اختلاف وتمايُز الطبائع مِن أجل وحدة عمل، وذلك تشبُهاً بأقانيم الثَّالوث التي تعمل معاً في وحدة واحدة.

تشبُّه الخليقة بالثَّالوث يحفظ الكون:

٣٥- والتشبُّه بالله على مستوى الخليقة المنظورة غير العاقلة، هو **شركةُ بقاءٍ**؛ لأن الكائنات إذا انعدمت بينها الشركة انتهى وجودها، بل اختل نظام الكون كلـــه، واندثرت الخليقة، وعادت إلى العدم. هذا التشبُّه بالثَّالوث قائمٌ على أســـاس التمـــايُز والتنوع الذي يؤدي إلى الوحدة، فلا وجود لوحدةٍ مِن أي نوعٍ مهمـــا كانـــت إذا انعدمت الاختلافات بين الكائنات. فالماء ليس مثل التراب، والتراب ليس مثل الهواء، ولكن هذا الاختلاف يؤدِّي دائماً إلى الخير والصلاح.

٣٦- وإذا انعدم التآلف في أحوالٍ معينةٍ مثل استخدام الماء في إطفاء النار، أو

---

(1) اهتم اليونانيون القدماء بالوصول إلي إجابات عملية للأسئلة التي تدور حول ماهية الكون، فقد توصل طاليس إلي النظرية التي تقول بأن المبدأ الأوَّل للمادة هو الماء، ثم جاء بعد ذلك أنكسيمندر المالطي، وقال بدوره بمادة واحدة يمكن أن توجد في أشكال أربعة: التراب، والهواء، والنار، والماء. ولقد وُضِعَت هذه النظريات فيما بين عام ٦٠٠-٥٥٠ ق.م تقريباً. وبعد ذلك بحوالي مائة عام قال أنبادوقليس بأُصول أربعة للمادة، أو بعناصر أربعة: هي التراب والهواء والنار والماء، وتتحد هذه العناصر الأربعة لتتكون منها الأشياء المعروفة بفعل قوتين كُلِّيتين هما المحبة والكراهية. ولقد عاشت نظرية العناصر الأربعة في صورة أو أُخري قرابة ألفي عام. ثم جاء العلم الحديث وكشف عن خطأ هذه النظرية، فعدد العناصر المعروفة حتى الآن وصل إلى ١١٢ عنصراً، يوجد منها في الطبيعة ٩٢ عنصراً، بينما لا توجد بقية العناصر في الطبيعة لعدم ثباتها، ولكن يمكن تحضيرها صناعياً تحت ظروف معينة.

يتضح من ذلك إن القديس صفرونيوس يستخدم النظرية العلمية السائدة في عصره لكي يشرح بها الإتحاد، أو الشركة فيما بين عناصر الطبيعة المخلوقة، وذلك على غرار الإتحاد القائم بين الأقانيم، الأمر الذي لا يقلل منه صحة أو خطأ النظرية، لأن الأمر يتعلق بالإتحاد، لا بعدد العناصر.

استخدام التراب والحجارة في تحويل مسار القنوات، والتحكم في سير الماء في الأراضي الزراعية. فإن هذا يُعد نوعاً مِن الوحدة، يقوم فيه عنصرٌ مخلوقٌ في ظـــروفٍ معينـــةٍ بالخضوع لعنصرٍ آخر مِن أجل خيرٍ محسوب، ومحدد، ومِن أجل البقاء والخير.

٣٧- ويستطيع أي عاقل وحكيم يتأمل خليقة الله أنْ يرى إنَّ صراع العناصر هو صراعُ خضوعٍ يؤدي إلى الخير، وإلى ما هو محسوب ومحدد مِن أجل تحقيق غايـــة في الكون، أو غاية يحددها الإنسان.

٣٨- ويستطيع أي عاقل وحكيم أنْ يرى إنَّ احتجاز الماء خلف السدود، إنما هو صراعُ عنصرٍ ضد عنصرٍ آخر، وإنَّ هذا لا يدوم إلى الأبد؛ لأن السدود إذا أُهمِلَت، وتراجَعَ الذين أقاموها عن العناية بها، وارتفع منسوب الماء انهارت وتسببت في كوارث كبيرة. فالتدخل مِن أجل خلق إتحاد يقوم على صراع عنصر أو أكثر، هو تـــدخلٌ لا يدوم، ولا يبقَى لأن الخليقة لم تُخلق مِن أجل صراع العناصر، رغم أهميته الواضـــحة، وإنما خُلِقَت مِن أجل التآلف الذي يحفظ بقاء كل كائن.

تشبُّه الخليقة العاقلة بالثَّالوث، هو سِر الحياة الأبدية:

٣٩- فإذا كانت كل الخلائق تشترك معاً في شركةٍ تحددها الطبيعة، أي طبيعة العنصر نفسه - فالماء مثلاً، له طبعٌ خاصٌ به، يجعله يخدِم كل احتياجـــات الكائنـــات الحية العاقلة وغير العاقلة، ويُعطي لها الحياة ويظل ممتزجاً بها، ومع ذلك ينفصل قـــدر كبير منه، وربما كله - إلاَّ أنه عندما تنتهي حياة هذه الكائنات يعود الماء إلى دورتـــه الطبيعية دون أن يتحوَّل إلى عنصرٍ آخر.

٤٠- هكذا تُقدِّم لنا الخليقة المنظورة مرآةً نرى فيها التنوع والوحدة، وهـــو المبدأ (أو القاعدة) التي أُعلِنَت لنا في الثَّالوث، وهي ذات حقيقة تدبير الخليقة المنظورة كمرآةٍ للطبع الإلهي، تُذكِّر الإنسان بحقيقة الوجود الإلهي، الذي انعكس على الخليقة، وهو ما جعل الرسول يقول، إن تدبير الخليقة يُعلِن ما هو غير منظـــور، في الخليقـــة،

عندما يتأمَّل الإنسان كيف خَلَقَ الله الكون (راجع رو١ :١٩و٢٠).

٤١- ولكن شركة الخليقة العاقلة هي **شركةُ بقاءٍ أبديٍ**، فهـــي لا تشـــترك عقلياً[1] في غيرها، أي في عناصر الكون، بل تقوم فيما بينها شركة حياة أبدية حسب حدود الطبيعة البشرية. فالكون يمُد الإنسان بالخبز وبالمأوى، وكل ما يؤهله للحيـــاة، ولكن الجماعة الإنسانية هي التي تمُد كل فرد والجماعة – ككل - بما يجعلها تحيا حياةً إنسانيةً عاقلةً؛ لأن المعرفة لا تُولَد مِن الطعام، رغم أهميته، ولا يأخذها الإنسان مِـــن أشعة الشمس، رغم حيويتها، ولكنها تقوم بشركة التعليم، وبالحَدْس، والحوار، وقبل كل هذا بإلهام روح الحكمة، الروح القُدس الذي يُحَكِّم كل الكائنـــات، ويُعلِمهـــا المهارات والقدرات التي وُصِفَت في مَثَل ربنا يسوع باسم الوزنات (متى ٢٥: ١٥ – ٢٨)، فالذكاء والفهم وفروع المعرفة، هي أشعة الإدراك التي يرسلها الروح القُـــدس، ويسكبُها على كل الخليقة العاقلة التي تؤمِن، والتي لا تؤمِن بالله، وهي نـــور الكلمـــة (اللوغوس) الذي أخبرنا عنه الإنجيلي بكلماته القاطعة كل سبُلِ الشَك "كان هو النور الذي يُضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم" (يوحنا ١: ٩).

٤٢- ومِن الله نأخُذ الإدراك والمعرفة بواسطة الكلمة والرُّوح القُدس، وعندما نستنير نُدرِك أنَّ القدرة التي فينا، أي النطق والفهم والذكاء وسائر القدرات العاقلة التي تُشرِق مِن فوق مِن عند "أبي الأنوار" (يع ١: ١٧)، هي ذات السُبل التي تؤدي بنا إلى معرفة الثَّالوث.

النطق، أو الفهم هو أوَّل أركان الشركة:

٤٣- وبدون الكلمة لا نملك نحن أنْ نبقى في الحياة كبشرٍ. فالكلمة هي سِر تقدُّم الإنسان وبقائه كصورةٍ عاقلةٍ، فهي أداة كل تقدُّمٍ، وجوهر كل حوار، وجوهر

---

[1] عقلياً، تعني أيضاً روحياً، لأن الطبع العاقل فينا هو أحد مكونات الروح الإنسانية.

كل أنواع المعارف، الشريرة والصالحة. هي أداة المحبة، وأداة الحروب، وقبل أن يصنع الإنسان الحراب والسيوف، أشعلت كلمات البغضة نار العداوة، فبحث عن الحديد والمعادن لكي يصنع أدوات القتل؛ لأن القتل فكرةٌ واعتقاد لا يقوم في عقل الإنسان بدون كلمةٍ، أو أكثر، ولا يمكن لأي فكرةٍ أن تدوم مهما كانت ما لم تُعبِّر عنها كلمةٌ واحدة، أو أكثر؛ لأن الكلام هو سِر بقاء الإنسان عاقلاً، ولم يكن عبثاً أن قال الإنجيلي الذي استوعب تدبير الوحي كله، فقال بقوة الكلمة ونور الروح القُدس "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا ١:١).

٤٤- ونحن لا نملك أي شركة مع الله بدون الكلمة، ولا نملك أي شركة مع بعضنا البعض بدون كلمة، لأننا لا نتصل كلٌ بالآخر بدون العقل، فنحن لسنا مثل النباتات التي وإن كان لها لُغةٌ خاصةٌ بها تُسبِّح بها الخالق وتُقدِّم له المجد، إلاَّ أنها ليست لُغة إنسانية، بل لُغة كونية، لا تدخل في إطار وحدود الإدراك الإنساني إلاَّ عند الذين نالوا معرفةً بأسرار الكون، واشتركوا مع الكون في تسبيح الثَّالوث بلغةٍ تعلو على اللغة الإنسانية، وهي لُغة الملائكة ولسان السماويين الذي أشار إليه الرسول (١ كور ١٣: ١).

اللغة أداةٌ إنسانيةٌ إلهيةٌ:

٤٥- وتتكون اللغة مِن حروفٍ تُحوِّل الأصوات إلى كلمةٍ، أو كلماتٍ تتحد معاً لكي تخلق المعنى وتنقل بالمعنى، الإدراك الإنساني مِن الصوت إلى الفهم، ومِن الفهم إلى الشركة، أي عندما ننطق، فإن الأُذن والعقل يُحوِّلان الأصوات الصادرة عن الفم واللسان إلى معانٍ تخلق العلاقات وتقوِّي ما هو كائن وتطوِّر ما هو موجود، وتنقل الإنسان إلى إدراك ما هو أعلى منه وأسمى مِن قدراته. ومَنْ يقرأ كتاباً عن الطب وفوائد الأعشاب ويفهمه ويتذوق الحكمة التي فيه، فهو لا يعود يرى الأعشاب كما كان يراها قبل حصوله على حكمة الطب، بل ينتقل بالمعرفة مِن حالة الجهل إلى

الفهم، ويتحوَّل مع مرور الزمان ومداومة الدراسة إلى "**حكيم**" (طبيب)، وقد يصبح مُعلِماً في مدرسة الحكمة (مدرسة الطب). هذا التطور خلقته أولاً المعرفة، وثانياً الكلمة، وثالثاً الشركة الإنسانية.

٤٦- وهكذا نرى مجال عمل الله عندما ينقل روح الحكمةِ الفهمَ إلى الإنسان ويحوِّل الإنسان هذا الفهم إلى كلماتٍ، وتُصبح هذه الكلمات الإنسانية المركبة من حروف والتي يحوِّلها ذكاء الإنسان من أصوات إلى معانٍ ينطقها، فتنقل الإدراك والفهم من إنسان إلى آخر، ومِن جيلٍ إلى آخر بواسطة الشركة بين البشَر. وتنتقل المعرفة مِن إنسان إلى آخر، ومِن شعبٍ إلى شعب، وما أعظم أولئك الذين درسوا لُغات الآخرين ونقلوا ما دُوِّن بها إلى لغة أهلهم، فنَمَتْ المعارف، واتسع الإدراك، وعمَّ الخير، وانتقل الإنسان إلى حالةٍ أفضل، وتقدَّم في فهم نفسه وغيره والكون الذي يحيا فيه، ويشترك في إخضاعه حسب كلمات المزمور الثامن.

الكلمة والرُّوح حسب الإعلان الإلهي:

٤٧- يقول المزمور "تُرسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض" (مز ١٠٤: ٣٠)، ولكن لاحِظ أن عمل الروح في تجديد الخليقة لا يمكن الحديث عنه بدون الكلمة، فالكلمة والروح معاً، وأينما عمل الكلمة، عمل الروح معه. إذ يقول ذات المزمور "ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمةٍ صُنِعَت" (مز ١٠٤: ٢٤)، فالحكمة هي روح الرب التي وُصِفَت بأنها "روح المشورة والفهم" (أش ١١: ٢)، ويقول إشعياء النبي "أمَّا أنا فعهدي معهم قال الرب. روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول مِن فمك، ولا مِن نسل نسلك، قال الرب مِن الآن والى الأبد" (أش ٥٩: ٢١). فالروح يُعطي الكلمة، والكلمة ينقل الروح، وهنا على المستوى الإلهي، إذا كان الكلام عن أقانيم الثَّالوث، وَجَبَ استخدام صيغة المُذكَّر، وإذا كان الكلام عن الإنسان، وجب استخدام صيغة المؤنث، للتمييز. فالكلمة التي

وُهِبَت بالرُّوح القُدس للأنبياء، هي مِن الكلمة ابن الله، والروح الذي وُهِبَ للبشر، هو روح الرب الذي يسكُن في أرواحنا نحن البشر لكي نتكلم بكلام الله. وعندما يحل روح الرب علينا، نجد كلام الرب على أفواهنا، نقوله بقوة الروح القُدس. ويقول النبي أيضاً عن السيد الرب نفسه الذي لأجلنا صار بشراً "روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين" (أش ٦١: ١)، ويقول بعدها إنَّ هذه المسحة للبشارة والمناداة بالحرية حسب كلمة النبي نفسه "لأُنادي للمسبين بالعتق وللمأسورين بالحرية، لأُنادي بسنة مقبولة للرب، وبيوم انتقام لإلهنا، لأُعزي كل النائحين" (أش ٦١: ١، ٢) ولاحظ كلمات النبي وهو يخبرنا بالعهد الجديد:

* أُبشِّر: أي بشارة الإنجيل، والبشارة بالكلمة.

* أُنادي: بالكلمة الحية.

* أُعزِّي: وهو ذات عمل روح الرب المعزي.

ويختم كلامه بوعدٍ إلهي بأنَّ الله في يسوع المسيح سوف يُعطي لنا في المسيح "رداء تسبيح عِوضاً عن روح اليأس" (أش ٦١: ٣)، وتأمَّل قوله بعد ذلك عندما ينطلق الكلام الجديد الذي يُعطَى بالرُّوح القُدس "فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد" (أش ٦١: ٣)، أي التسبيح بالرُّوح القُدس الذي قال عنه الرب نفسه "يتكلمون بألسنةٍ جديدةٍ" (مرقس ١٦: ١٧).

٤٨- والروح هو قوة الحياة الإلهية التي تُعطي الكلمة النبوية، وهو مثالٌ لما سيحدث في العهد الجديد عندما يُعطي الروح القُدس، الابن كلمة الله الآب للبشرية، لكي يُعطي الابن بعد ذلك، الروح القُدس نفسه للبشرية التي تؤمِن به، وتنال عطية الروح القُدس بشكلٍ خاصٍ فائقٍ يسمو على عطية الروح القُدس للأنبياء في العهد القديم.

٤٩- وهكذا رتَّب الله الآب أن يُعلِن عن مستقبل الخلاص بواسطة الروح

القُدس الذي سوف يُعلَن بعد ذلك كروح يسوع المسيح، ليكون مثالاً لما سوف يحدث إذ أننا نقبل الابن كلمة الله بالرُّوح القُدس، روح التعليم النبوي الذي لا يُستمد مِن الشريعة، بل مِن روح الأنبياء نفسه.

٥٠- وحقاً وَصَفَ الرسول سيف الروح القُدس بأنه كلمة الله (أف ٦: ١٧)، لأن الكلام الذي لا يُستمد مِن الروح القُدس هو كلامٌ عاطلٌ حتى وإنْ كان كلاماً حكيماً (١ كور ١: ١٧). وعندما يقول الرسول إنَّ ربنا يسوع المسيح "المُذخَّر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كولوسي ٢: ٣)، فهو يؤكد أنَّ كلام الله لا يمكن أنْ ينفصل عن حكمة الله، أي روح الله القدوس، ويقول ربنا أيضاً "أنا أعطيتهم كلامك"، ثم "كلامك هو حقٌ" (يو ١٧: ١٤، ١٧)، وبذلك كشف عن دور الكلمة النبوية، وكلمة التعليم الإلهي في قيادة فكر البشرية إلى الكلمة؛ لأننا بالروح نُعطَى كلام حكمةٍ (١ كور ١٢: ٨). ووحدة الكلمة والروح يؤكدها الرب نفسه عندما يقول إننا لا نحيا بالخبز وحده، بل بكلمة الله (متى ٤: ٤)، وإنَّ روح الحياة الذي فينا سوف يُحيي أجسادنا المائتة (رو ٨: ١١).

الكلمة والروح:

٥١- عندما خُلِقنا على صورة الله، كان الله الآب يرتِّب تدبير الخلاص بعطية الصورة الإلهية لنا. وهكذا نحن على مثال الله، لأن لنا روح، ولأن لنا حكمة، وكلاهما الروح الإنسانية، والكلمة الإنسانية، عطية الآب السماوي لنا. والروح الإنسانية التي فينا هي روحٌ عاقلةٌ تحيا وتنمو بالكلمة أداة الفكر، والقوة التي تحرك القوة العاقلة، وتُعبِّر عنها، وتعطي لها النمو والتقدُّم. فالكلمة الإنسانية هي شرارةٌ مِن نار الروح الإنسانية لا يمكن أن تنفصل عنها. وهكذا نرى أنه كما تُعلِن الكلمة درجة حكمة وذكاء ومعرفة الناطق، تظل روحه مستترةً غير معلنةٍ إلاَّ بواسطة الكلمة والنطق، ويعبِّر النبي عن هذا بمثال واضحٍ عندما يقول: "هكذا قال العليُ المُرتفع ساكن الأبد القدُّوس

اسمه .. أسكن مع المُنسحق والمتواضع الروح لأُحيي روح المتواضعين" (أش ٥٧: ١٥)، فالروح الإنسانية يُعلَن تواضعها وانسحاقها بالكلام وبالسلوك. فالروح يُعلَن بواسطة الكلمة كمثالٍ لإعلان يسوع المسيح بواسطة الروح؛ لأنه كلمة الله المُتجسِّد. وهكذا جاءت الحياة والوجود الإنساني موازياً ومثالاً للوجود الإلهي الذي فيه يُعلَن الروح القُدس بواسطة الكلمة عندما يتجسَّد، لكي يُعلِن بعد ذلك الروحُ الكلمةَ المُتجسِّد. وهكذا رتَّب الله أنْ تحيا الخليقة لكي تفهم ما سوف يُعلَن في آخر الدهور عن الحياة الإلهية.

الإنسان صورة الله:

٥٢- خَلَقَ الله الآب، بابنه يسوع المسيح، الروح الإنسانية مِن العدم مثل الجسد تماماً، ولكنه أعطَى للروح أنْ تكون صورةً للكيان الإلهي، ومثالاً له حسب إعلان الروح القُدس في الكتب المقدسة، إذ يؤكد القديس الرسول يعقوب إنَّ البشر خُلقوا على شبه صورة الله (راجع يع ٣: ٩). والرُّوح هي القوة الحيوية المتدفقة دائماً، هي الحياة نفسها، وهكذا تقول راحاب بعد أن سمِعت بأعمال الله القوية "سمِعنا فذابت قلوبنا، ولم يعُد بعد روحٌ في أي إنسانٍ بسببكم" (يشوع ٢: ١١). ونفس الكلام قِيلَ عن ملكة سبأ بعد أن شاهدت سليمان الملك "لم يبق فيها روح" (١ ملوك ١٠: ٥). هذه القوة تأخذ حيويتها وقدرتها (طاقتها) مِن الله، ولذلك يُحذِّر الرسول القديس بولس المؤمنين مِن القوة الشريرة التي تُسبِب الانزعاج والبلبلة في نفوس المؤمنين، مؤكِّداً أنَّ قوة الروح الشرير تعمل بواسطة الكلمة الشريرة "نسألكم أيها الإخوة مِن جهة مجيء ربنا يسوع المسيح، واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروحٍ، ولا بكلمةٍ، ولا برسالةٍ" (٢ تس ٢: ١و٢). ويؤكد ذات التحذير القديس الإنجيلي يوحنا قائلاً لنا "لا تُصدِّقوا كل روح" (١ يوحنا ٤: ١)، فالروح لا يعمل بدون كلمة، ولذلك يُطابق الروح الشرير عمل الله نفسه، ولكن تكشف كلمات كل تعليم عن الروح الخفي والقوة التي تريد أن تصنع خيراً حسب الله، أو

شراً حسب الشيطان. وإذا قيل عن شمشون إن العطش كاد أنْ يُفقِده الحياة، وإنه كاد يموت، ولما شَرِبَ "رَجِعَت روحه فانتعش" (قض ١٥: ١٩)، صار مِن الواضـــح، أن انعدام القوة، هو ما يُوصَف بتعب الروح (مز ١٤٢: ٣)، "وفناء الروح" (مـــز ١٤٣: ٧). وضبط النفس، وهي فضيلة البالغين تُوصَف بعبارة الوحي المُقدَّس "مالِك روحه" (أم ١٦: ٣٢) ويحذر الحكيم كل عاقل بأن "لا تسرع بروحك إلى الغضب" (جا ٧: ٩). أمَّا الذي ينال تعزية الروح القُدس، فإنَّ الوحي المقدَّس يصفه بأنَّ "روحـــه قـــد استراحت" (٢ كور ٧: ١٣). وعندما نال يوحنا المعمدان غيرة رب الجنود وقوتـــه، وُصِفَ بأنه السابق الذي سوف يتقدَّم، أي يسبق ربنا يسوع المسيح "بروح إيليا" (لو ١: ١٧).

الروح الإنسانية والكلمة الإنسانية:

٥٣- ولما كانت الروح الإنسانية هي القوة الحيوية والقدرات العاقلـــة الـــتي أُعطيت مِن الله للإنسان، صار للكلمة الإنسانية ذات القدرات، فهي تنقـــل بواســـطة صوت الحنجرة، وحركة اللسان، أي الأصوات، ما يجول ومـــا يحـــدث في الحيـــاة الداخلية، فتخرج القوة العاقلة غير المرئية بصورةٍ مسموعةٍ، وتنقل معها الحياة الداخلية وهكذا تُعلَن الإرادة والفكر والعواطف والخيال بواسطة الكلمات، وهكذا أيضاً صار خلق الإنسان على صورة الله، مُقدِّمةً سهلةً، وواضحة لإعلان الله عن ذاته بواســـطة الكلمة الابن الوحيد الذي بالرُّوح القُدس أعطَى الوحي المقدس. وهنا يجب أنْ يكون واضحاً أنَّ الكلمة الإنسانية التي تُعلِن خفايا الإنسان، هي صورةٌ وشعاعٌ لما يحـــدث على المستوى الإلهي عندما تعلَن الكلمة النبوية، وكلمة التعليم التي تُعطَـــى بـــالرُّوح القُدس، الثَّالوث القدوس، ويصبح مجال إعلان الكلمة ابن الله هو الكلمة الموحى بهـــا، وقوة الروح القُدس التي تنير أذهان المؤمنين لكي بواسطة الكلمة التي تنقل لنا خفايـــا الحياة الإلهية، وبنور الروح القُدس نقترب مِن الله، ولذلك السبب عينه يقول الرسول بولس مُعلِم الأُمم "يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح" أي الآب نفسه "أبو المجد" مصـــدر

المجد "روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته (أي الإتحاد به) وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف ١: ١٧-١٨).

كلمة قدرته:

٥٤- يقول نفس الرسول عن ربنا يسوع المسيح إنه هو بهاء مجد الآب ورسم أُقنومه، وحامل، أي حافظ كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١: ٣). ربنا يسوع المسيح هو الذي يحفظ الخليقة ويُدبِّرها ويُعطي لكل مخلوقٍ حدود وغاية طبعه، وهو ذاته الكلمة الأزلي الذي منه الكلمة الإلهية التي نطق بها الذين أقامهم أنبياءً ورسلاً ومعلمين في الكنيسة الجامعة، وهو الذي أنارهم بالروح، فنطقوا بالرُّوح القُدس كلمة الحق التي هي شرارة مِن نار الحق الأعظم ربنا يسوع المسيح الذي له المجد دائماً إلى الأبد.

٥٥- وهكذا، بسبب وحدة عمل ووحدة جوهر الثَّالوث القدوس، يعمل الكلمة الابن بكلمة قدرته، بالرُّوح القُدس الذي يأخذ مِن الابن بسبب وحدة الجوهر، ويُعطي الخليقة كلمة وحياة، ولنفس السبب قال الرب نفسه "الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٦٣) مؤكِّداً بذلك حقيقة التعليم الذي يُعلِّم به ومصدره وغايته، فهو تعليم عن الحياة؛ لأن الرب هو الحياة، وهو تعليم عن الروح؛ لأن الرب أعطانا الروح، وهو تعليم بالكلمة؛ لأن الكلمة الابن هو واهب الكلمة لحياة كل مخلوق ناطق يحيا بالكلمة. وكلمة قدرة الرب يسوع هي التي تحفظ عروش الرتب السماوية، وتعطي لهم أنغام التسبيح السماوي، وهي التي تجعل كل واحد منهم يحفظ رئاسته مُقدَّساً بالرُّوح القُدس.

توزيع العمل يؤكد وحدة الجوهر:

٥٦- عندما يُوزِّع الروح القُدس مواهبه المختلفة يظل الروح الواحد (١ كور ١٢: ٤). وعندما يُوزِّع الابن الوحيد رُتب الخدمة المقدسة، يظل الرب الواحد.

وعندما يعمل الثَّالوث معاً موزِّعاً خدمة الخلاص بين الابن والرُّوح القُدس، فإن توزيع العمل يؤكد وحدة الجوهر؛ لأن الذي يعمل مِن أجل ذات الغاية التي يعملها غـــيره، فهو واحدٌ بالإرادة وواحدٌ بالطبيعة أو الجوهر. وهكذا خلق الله الآب الخليقة الجديدة، أي الكنيسة الجامعة، وأعطاها هذا الاسم الجديد "**جسد المسيح**" مؤكِّداً لنا وجودها الحقيقي الإنساني المُستمد مِن المسيح يسوع نفسه، أي الابن الكلمة المتجسد. وســائر أسماء الكنيسة: الكرمة، بيت الله، جماعة القديسين، وغيرها مِن أسماءٍ كلها مُستمدَةٍ مِن حقيقة تجسُّد ابن الله، فهو الذي تجسَّد لكي يكون البكر بين إخوةٍ كـــثيرين (رو ٨: ٢٩)، وصار بسبب تقدمه عنا في كل شيء، الرأس (أف ١: ٢٢)، والأوَّل، والبداية (رؤ ١: ١١)، ولنفس السبب قيل إنه هو الأخير، أي الخاتمة والغاية، والنهاية، لأننـــا جميعاً سوف ننتهي إلى قياسٍ واحدٍ، وقامةٍ واحدةٍ، وهي المسيح يسوع نفسه الـــذي سوف تصل قامته إلى الكمال عندما يشترك كل الذين نالوا الخلاص في كل الـــدهور في حياته الإلهية وينالوا فيض نعمته.

٥٧- وما يعمله الآب بابنه إنما يعمله أيضاً في الروح القُدس، عملٌ واحـــد، ونعمةٌ واحدة، وغايةٌ واحدةٌ لثالوثٍ واحدٍ متساوٍ. وإذا كان توزيع العمل يعني تعـــدد الأشخاص، فإن إتحاد الأشخاص في العمل ظاهرٌ. كما أن تفرُّق الأشخاص بســبب الخطية لا يلغي وحدة الطبيعة البشرية، أي جوهر الإنسانية الكائن في كـــل إنســـان، والذي تُلغيه الإرادة الإنسانية بسبب تفرُّق الفكر وتعدد النوايا، حتى أن وجود القلب الواحد، أي الحياة الداخلية الواحدة، يتلاشى بسبب الانقسامات، ويصـــبح وجـــود الطبيعة الواحدة هو الدينونة الأكبر للبشر المنقسمين إلى أحزابٍ وشـــيع، وجماعـــاتٍ متنافرة.

٥٨- أمَّا على المستوى الإلهي حيث كمال المحبة، وكمال الطبيعة الإلهية، فإن الانقسام غير معروفٍ، بل هو ضد الطبيعة الكاملة الفائقة، التي هي المحبة الكاملة الـــتي لا تحتاج لأحدٍ، ولا تقوى ولا تضعف، بل هي أزليةٌ دائمة. فإذا قال الابن له المجد "أبي

يعمل، وأنا أعمل"، فهو يُعلِن لنا تمايُزه عن الآب، ويؤكده بقوله "الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أنا أعملها" (يوحنا ١٤: ١٠)، وهنا وحدة الإرادة مِن وحدة الجوهر، وهي سبب وحدة العمل. أمَّا على مستوى البشر، فإنه يتعذر علينا أنْ نقول عن إنسان إنه يحل في آخر؛ لأن حلول بشر في بشر ليس مِن خصائص الطبيعة البشرية، بل هو امتياز الطبيعة الإلهية، التي كل الأشياء كائنة منها، وهي تجمع كل الخليقة في وحدةٍ واحدة.

تثليث الأقانيم والنعمة الواحدة:

٥٩- حسب ما نراه في الخليقة المنظورة، تقع الخليقة في صراعٍ بين الوحدة التي تجعل كل كائنٍ يجود ويُعطي شيئاً يشترك به في وحدة الخليقة، وبين تنافر طبائع بعض العناصر، مثل تنافر طبيعة الماء والنار، فكلاهما يعمل معاً، وفي أغراضٍ معينة، بواسطة تدخل عنصر ثالث يحقق الانسجام، مثل استخدام النحاس أو الحديد كوسيط وعازل يحقق انتقال الحرارة مِن النار إلى الماء حسب الاستعمال المطلوب. وهكذا تظل وساطة عنصر أو أكثر، ضروريةً لعزل التنافر وتحقيق الانسجام. أمَّا صراع العناصر، فهو أيضاً له مصدر معروف، وهو خضوع الخليقة "**للبُطل**" (رو ٨: ٢٠)، إضافة إلي أن الوحدة الكائنة قبل السقوط هي التي أظهرت هذا التنافر بشكلٍ ظاهرٍ. وحتى بين البشر الذين نالوا مواهب وعطايا الروح القُدس، كثيراً ما نرى كيف يجمع شخصٌ بين عطيةٍ روحيةٍ سماوية وخطايا، أو خطية شخصية تمتزج بعطية الله بشكلٍ ظاهرٍ وتجعل مِن عطية الله، وهي لها غاية واحدة، مصدر انقسام وضعفٍ روحيٍ ظاهرٍ في وسط الجماعة التي تعاني مِن صراعات الخطية، رغم عمل الله الظاهر في وسطها، والذي لا يتوقف لأن الله لا يُعطي نعمةً على قدر محبة الإنسان، أو توبته، بل حسب صلاحه الإلهي.

أمَّا على مستوى العمل الإلهي، فليس في الثَّالوث صراع الخطية، أو انقسام

وتعدُّد الإرادة. قال معلِّم الملوك الأنبا أرسانيوس عبارةً واحدةً تُميِّز العمــل والطبيعــة الإلهية عن الطبيعة الإنسانية، وهي "**إن ربوةً مِن الملائكة لهم إرادة واحدة، وإنســان واحد له ربوة إرادات**". فالطغمات السماوية تعمل معاً حسب إرادة واحدة لا تنافُر فيها، فكيف يجوز لنا أنْ نتصور أنَّ للثَّالوث الواحد أكثر مِن إرادة؟ أو أن هناك تنافرٍ في الإرادة؟ ولذلك علينا أنْ نتذكر دائماً أنَّ تثليث وحدة الجوهر هو تثليث أقــانيم، وبالتالي فهو تثليث ذات الإرادة الواحدة التي هي واحدٌ في الآب والابــن والــرُّوح القُدس، حتى أنها في الحقيقة ليست ثلاثة، بل واحدة، وعندما يَهِب الآبُ البنوةَ، فهي لا تصل إلينا مِن الابن وحده؛ لأن بنوة الآب هي بالابن والآب، فهي ذات الشــركة التي يُعطيها الروح القُدس في علاقة الآب والابن. وعندما يسكن فينا الروح القُــدس، فهو لا يسكن وحده، بل يسكن فينا بالابن وبالآب، ولذلك عندما يقول المُخلِّــص: "إليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣)، فهو لا يتحدث عن سُكنى مثلثــة لثلاثةٍ منقسمين، بل سُكنى واحدة لثالوث واحدٍ متساوٍ، وواحدٍ بالجوهر.

٦٠- وعندما يسكُن فينا الابن بواسطة إتحاده بنا بجسده المُقــدَّس في السِّــر الإلهي الفائق، أي سِر الشكر، فإننا ننال سُكنى الروح القُدس، وسُكنى الآب، ونصــير واحداً مع الثَّالوث (يوحنا ١٧: ٢٣).

الثَّالوث وخلاص الإنسان:

٦١- وسوف أُحاول على قدر ما يمكن أنْ تنطق به شفاه الإنســان ولغتــه الإنسانية، أنْ أشرح كيف نستمد الخلاص مِن الثَّالوث، وإنه بدون الثَّالوث لا خلاص لنا:

أوَّلاً: نحن ننال التبني في الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح. لو تصورنا أنَّ هذه عطية منفردة لا تخص الثَّالوث الواحد، وإننا عندما ننال التبني في المسيح لا شركة لنــا مع الآب، فإننا نسقط، ليس فقط في الهرطقة الأريوسية، بل في توحيدٍ ناقصٍ لا قيمــة

له بالمرة عند الله؛ لأنه ليس مِن الله، ولا يغيِّرُ شيئاً في حياة الإنسان، إذ لا يؤدِّي التوحيد بدون الثالوث إلى التبني. أمَّا حسب التعليم القويم، فإننا عندما ننال البنوة في المسيح، فإننا ندخل شركة الابن في الآب، فلا بنوة بلا أُبوة، ولا أُبوة بلا بنوة. وهكذا عندما تُعلَن لنا طبيعة الثَّالوث القدوس، فإننا ننال التبني في الابن لكي يكون لنا شركة مع الآب. وعندما نشترك في الآب الذي هو مصدر البنوة، فإننا نعود إلى الله الذي اغتربنا عنه بواسطة الخطية.

ثانياً: وعندما نشترك في بنوة الابن فإننا به ننال شركة في الروح القُدس. وعندما سأل الأب زكريا الأسيوطي عن دور الروح القُدس في التبني، أجابه معلمنا الكبير الأب ديونيسيوس بأن الروحَ قائمٌ في الثَّالوث في ذات الجوهر، وإنَّ شركتنا في الابن تفتح لنا أحضان الآب، وإننا عندما نتكئ في أحضان الآب السماوي، فإنه يجود علينا بالرُّوح القُدس الذي ينبثق منه (يوحنا ١٥: ٢٦). وقال أيضاً إنَّ كل أُقنوم يجود بعطيةٍ خاصةٍ به، أي العطية الصادرة مِن الصفة الأُقنومية التي تُميِّزه عن غيره. وهكذا يُعطي لنا الروح القُدس، الحياةَ والتقديس وكلاهما مِن صفات الروح الذي تُميِّزه عن الآب والابن، وبشكلٍ خاص، التقديس؛ لأن التقديس هو عطية خاصة تُعطَى لكل كائنٍ، لا لكي تحفظ له تمايُزه وتفرده فقط[1]، ولكن أيضاً لكي يتحول التفرد والتمايُز إلى وحدةٍ. فالتقديس هو روح الوحدة وهو يُعطَى مِن الروح لكل الخليقة، حتى الرتب السماوية لكي تثبت في التسبيح. وكلما يتكلم الوحي عن الثبات في الله، فالثبات هو كلمةٌ أُخرى تُعبِّر عن التقديس. وهكذا عندما نقول إنَّ الروح هو روح الحياة، فإننا نقصد مِن هذا أنه يُعطي الحياة للتقديس، أي الحياة المختومة بختم التفرد، فتثبُت في طبعها الذي خُلقت به، وتبقى مقدسةً حسب مشيئة الثَّالوث. ونحن ننال البنوة في

---

[1] يُلاحَظ أن التخصيص أو التكريس، هو من المعاني الهامة لكلمة التقديس، ولذلك يتكلم القديس صفرونيوس هنا عن التفرد والتميُّز، فالمُقدَّس هو خاصة الله. يقول القديس باسيليوس: عليك أن تعتقد بثلاثة: الرب الذي يعطي الأوامر، والكلمة الذي يخلق، والروح الذي يثبِّت، وما هو التثبيت سوي التكميل بالتقديس. والتكميل يعني الثبات وعدم التغيير والتمسك بالصلاح، فلا تقديس بدون الروح القُدس (الرُّوح القُدس، فصل ١٦ – ٣٨ ص١١٢)

المسيح، وكلٌ مِنا يتقدَّس، أي يحفظه الروح القُدس ثابتاً في الابن حسب عبارة رسول المسيح: "والذي يثبتنا معكم في المسيح هو الله، وقد مسحنا بالرُّوح القُدس" (٢كور ١: ٢١). نحن نُمسَح بذات المسحة التي أُعطيت للرب يسوع في معموديته في الأردن، لكي نكون حقاً وفعلاً "**مسيحيين**"، ونُمسح لكي نثبُت، أي نتقدَّس في المسيح، أي لكي نصير مثله، وننال منه بنوةً ثابتةً مقدسةً.

ولما سأل الأب زكريا وقال: "لماذا لا ننال الثبات والتقديس مِن المسيح؟" أجاب الأب ديونيسيوس بأن هذا السؤال بالذات يكشف عن فكرٍ يحاول أنْ يُفرِّق الأقانيم، فالثبات يُعطَى بالرُّوح القُدس في المسيح. ولذا حَذَّر الأب ديونيسيوس مِن الأسئلة التي تُولَد مِن المُخيِّلة التي تتصور الانفصال والاغتراب أولاً، ثم تسأل عن حالة أقانيم مُنفصلة، وليست عن حالة أقانيم مُتَّحدة. وهكذا عندما ننال الثبات في المسيح مِن الروح القُدس فإننا نناله مِن الآب الذي إليه نعود لكي نُصبح واحداً معه.

٦٢- ومِن أجل ما سبق وذكرته، وأخذته عن مُعلِّمنا الكبير ديونيسيوس، أُعيد ما قاله، مؤكِّداً أننا نحتاج إلى تدريب المُخيِّلة لكي تستطيع أن تتصور الوحدة، كما هي قادرة بالطبيعة العاقلة التي فيها، أن تتصور الانفصال دون مشقةٍ؛ لأن الانفصال سهلٌ وظاهرٌ، أمَّا الوحدة فهي صعبة بسبب التنافر والصراع الذي جاء مع الخطية. وتدريب الإرادة والمُخيِّلة يبدأ بحياة التوبة، وهي جحد الذات الذي فيه ننال عطية الروح القُدس؛ لكي لا نحيا لأنفسنا، وبذلك تتحرر مخيلتنا من كل صور الانقسام الذي تزرعه فينا الأنانية والإفراط في حب الذات؛ لأن الأنانية تبحث دائماً عن الانفصال، وحب الذات يؤكد هذا الانفصال. أمَّا جحد الذات، أي ألاَّ نحيا لأنفسنا، فهو الذي يزرع فينا، أي في مخيلتنا، صور الوحدة والتآلف. وهكذا، فبجحد الذات نحن ندخل إلى أوَّل أعتاب شركة الثَّالوث، لأن المحبة الكاملة هي عطاء الذات، وعطاء الذات هو الاسم الآخر لجحد الذات. نحن لا نجحد ذواتنا لكي ننطلق إلى الفراغ والعدم، بل لكي نؤسِّس شركة المحبة على مثال شركة الثَّالوث. وعندما أوصى

ربنا يسوع بأن نجحد أنفسنا، فقد حدَّد بكلماتٍ قاطعةٍ، أن هذا هو "حَمَل الصليب"، وبذلك شرح لنا أن جحد الذات الذي يؤدِّي بنا إلى الانطلاق في طريق الصليب، هو "حَمَل الصليب". إنه ليس موتٌ يؤدِّي إلى عدمٍ، بل موتٌ يؤدي إلى القيامة، أي حَمَل الصليب، لأن الحي بالمسيح هو مَنْ يحمل الصليب، أي "يحمِّل صليبه، ويتبعني" (لو ٩: ٢٣) حسب القول الإلهي.

ومُخيِّلةُ مَنْ يُمارسُ جحد الذات، تستطيع أن تتصور الوحدة بمشقةٍ أقل؛ لأن الفكر هنا لا ينطلق مِن الذات، كما تسعى الإرادة في طلب الآخر والغير، ولذلك تصفو المُخيِّلة وتتأمل الوحدة، وإن كان ذلك لا يتم بدون مشقةٍ - كما قلنا - **لأن البعض يجحد ذاته لكي ينال إعجاب ذاته، وإعجاب الآخرين، وبذلك يُصبح جحد الذات، هو تأكيدٌ للذات، وبقاءٌ داخل سجن الأنانية،** ولذلك فإن الذين سلكوا طريق النُّسك بدون إفرازٍ فشلوا، لأن جحد الذات بدون محبة حقيقية للآخرين، يجعل جحد الذات هو طريق موتٍ، وليس طريق حياةٍ.

٦٣- ويُساعدنا جحد الذات، في شركة المحبة، على أنْ نُدرِك أننا جسدٌ واحدٌ، وأنَّ التقدِّيس الذي نناله مِن الروح القُدس الذي يحفظ كل عضوٍ في نعمته ومواهبه، إنما هو تقدِّيسٌ يؤدِّي إلى الوحدة، وعلى هذا القياس ننال أوَّل تدريب للحواس تحت قيادة الروح القُدس، الذي وحده يُعزِّي الذين يجحدون ذواتهم، إذ يُعلِن لهم أمجاد الملكوت الآتي، وبركات الحياة الظافرة في المسيح، فلا يسقطون في اليأس، وصِغَر النَفسِ.

٦٤- وتدريبٌ آخر نراه جميعاً ويقع تحت حصر حواسنا كلها، وهو أعلى مِن التدريب السابق، لأننا ندخله جميعاً بقلبٍ واحدٍ، وفكرٍ واحدٍ، وهو الصلاة والشركة في الأسرار في القُدَّاس الإلهي (حرفياً الخدمة، أو الليتورجية الإلهية). نحن جماعةٌ متمايزةٌ، وربما في بعض الأحوال متصارعةٌ ومتنافرة. ولكننا ندخل الخدمة المقُدَّسة لكي ننال في المسيح، البناء الإلهي الذي نتغرَّب عنه فكرياً وقلبياً بسبب الحياة التي نحياها.

هذا البناء الإلهي هو الجسد الواحد، أي جسد المسيح الذي نتغرَّب عنه بسبب ضعف حياة الشركة، وبسبب الاغتراب الفكري الذي نعانيه جميعاً. هذا الاغتراب هو الحياة داخل "سجن الأنا". هذه الحياة، مهما كانت، لا تقوى عليها خطايانا، وفي عهد نعمة ربنا يسوع المسيح لا تستطيع الخطية أنْ تهدم النعمة؛ لأن الرسول قال عن نعمة ربنا يسوع المسيح إنها "بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩)، فالله لا يندم، ولا يسحب نعمته. وحتى الهالكين، لا يفقدون نعمة الروح القُدس وسُكناه إلاَّ في يوم الدينونة[1].

إننا في الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي) نشبه ملكاً عظيماً يرتدي أسمالاً حقيرةً، وتحتها الثوب الملوكي، أي طبيعة ربنا يسوع المسيح الذي أعطانا أنْ نكون خليقةً جديدةً فيه، لا يقوى عليها موت الخطية[2]، حيةً بالرُّوح القُدس واهب الحياة الذي لا يموت.

والخدمة الإلهية مثل مرآةٍ نرى فيها نفوسنا، ونخلع فيها أسمال البائس الحقير، آدم الأوَّل، لكي نرى فيها ثوب ربنا يسوع المسيح، أي بِرَّه الإلهي الذي وُهِبَ لنا.

---

(1) راجع، القديس باسيليوس الكبير حيث يقول: "وبالمثل الذين أحزنوا الروح القُدس بسلوكهم الشرير ولم يستثمروا ما أُعطي لهم، سوف يحرمون من الذي أخذوه، أو تعطى النعمة التي كانت عندهم لآخرين أو حسب تعبير واحد من الإنجيليين الأربعة سوف يُشطرون إلى شطرين (مت٢٤: ٥١) والشَطر يعني الانفصال التام عن الروح؛ لأن هذا التعبير لا ينطبق على الجسد، فهو لا يشطر حسب الخرافات السائدة، فقسم منه يخلص وقسم منه يلقى للعذاب، فالقاضي العادل لا يقاضي الجزء بينما الكل مُخطئ، وكذلك النفس لا تُشطر إلى شطرين، بل النفس بجملتها هي التي تملك الإرادة الخاطئة وتستعين بالجسد لعمل الشر. ولكن الشَطر إلى قسمين- كما ذكرت- هو الانفصال التام للنفس عن الروح القُدس. ومع انه لا يختلط بالذين لا يستحقونه، إلاَّ أنه بنوع ما حاضر في الذين ختموا مرة، وهو يعمل على خلاصهم إذا ما عادوا، وإلاَّ فإنه يقطع تماماً من النفس التي تدنس نعمته. لذلك السبب قيل "ليس في الجحيم من يسبحون الله، وفي الموت لا يوجد من يتذكر الله"(مز٦: ٥س)، لأنه لا توجد هناك معونة من الروح، فهو ليس حاضراً في الذين ابتعدوا عن الله. كيف إذن يمكن الاعتقاد بأن الدينونة تتم بدون الروح القُدس، والكلمة الإلهية تشير إليه باعتباره جائزة الأبرار، ففي ذلك اليوم ينالونه بالكمال بدلاً من العربون (٢كو١: ٢٢، ٥:٥) وبداية الدينونة في ذلك اليوم أيضاً تكون حرمان الخطاة مما أخذوه". مقالة عن الروح القُدس (فصل ١٦: ٤٠)، ص: ١١٦ تعريب د. جورج حبيب بباوي.

(2) تقول أُوشية السلامة الكبيرة: "اسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيَّى نفوسنا بروحك القدُّوس، ولا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية".

وعندما نتناول مِن الأسرار تعود عقولنا وفكرنا المغترب عن محبة الله، ومجد قداسته إلى عرش الملك العظيم ربنا يسوع المسيح الذي تغرَّبنا عنه فكرياً، بالرغم مِن بقاء طبعنا الجديد الذي لا نملك أنْ نراه بدون المسيح، فهو ليس فينا بقوة الإرادة الإنسانية، ولا هو مِن صنع فكرنا، ولا هو بجهدنا، أو حتى بالنُّسك، بل هو هبة وعطية الله الآب في ابنه يسوع المسيح. مِن أجل هذا السبب عينه، نحن نعجز عن أنْ نرى الخليقة الجديدة التي فينا بدون المسيح.

٦٥- وكلما تَغرَّب فكرنا عن الخليقة الجديدة، كلما أحسسنا بأننا عُدنا إلى الخليقة الأولى القديمة الميتة، ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن الخليقة الجديدة هي شركة، وهي شركةٌ في شركة الثَّالوث، أي أنها علاقةٌ، وثباتُها ليس مِنَّا، ولا بواسطة أيةِ قوةٍ نملكها، بل إنَّ ثباتَها هو مِن الله، وبواسطة نعمة الروح القُدس والالتصاق الدائم بالرب. ولما سمعنا كلمات أبينا، لابس الروح القُدس، الأنبا أنطونيوس التي كان يرددها دائماً: "**حيٌ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم**"، قال الأب ديونيسيوس لنا: إنَّ هذه العبارة هي مُلخَّص حياة أنطونيوس كلها، فقد عاش حياة التجديد دائماً، وكان ينسى ما حدث كل يومٍ، لكي يتقدَّم مع كل يوم إلى الأمام. والويل لنا إنْ سَكَنَتْ أوجاع الخطية لفترةٍ، وظنَّ أيٌ مِنَّا أنه غَلَبَ، أو انتصر، لأن هذا الشعور الكاذب هو بداية الانحدار. لِنقف كل يوم، وكل ساعة معاً بعقلٍ جديد؛ لأن الخليقة الأولى القديمة، هي قائمةٌ على الامتلاك بدون شركة، وهي لذلك تَفَسَد دائماً بالأنانية والتسلُّط والخداع والقهر، وتحيا في عذاب الخوف مِن فُقدان وضياع ما تملك، أمَّا الخليقة الجديدة، فهي تفرح بالشركة، وترى في ضياع ما تملك تُرياق عدم الموت؛ لأن البذل هو علامةٌ مِن علامات تذوق موت المسيح، وقيامته.

الشركة في جسد المسيح:

٦٦- عندما يُوزِّع الربُ علينا جسده المقدس، وكأس محبته الأبدية، أي دمه

الكريم، فإننا ننالُ جوهرةً مقدارها ليس في حجمها، بل في قوهّا وفي فاعليتها، فليس بالأحجام، ولا بالشكل تُقاس الأُمور الخاصة بالدهر الآتي، وبشركتنا في الله، بل بالقوة والنعمة المعطاة في الأسرار. وكل واحدٍ منا يأخذ ميراثه، أي جسد ودم ربنا يسوع على قدر وحسب نعمة الله. فالجوهر واحدٌ والتوزيع متعددٌ لكل الأشخاص، والجسد والدم واحدٌ، ولكن المتناولين كثرةٌ. فالتعدُّد لا يجعل الهبة والعطية، أي الجسد والدم متعددة، بل مُوزَّعةً دون أنْ تنقسم؛ لأن المسيحَ واحدٌ لا ينقسم. وهكذا، بالشركة نتعلم حقيقة هامة عن الثَّالوث، وتتدرب عقولنا على قبول السِّر الفائق، أي سِر حياة الثَّالوث، بواسطة سِر آخر يُعطَى ويُوزَّع علينا بصورةٍ مرئيةٍ ظاهرة، هي الجسد والدم الذي يُوزَّع علينا، كقوتٍ وطعامٍ نأكله لنحيا به.

٦٧- ونحن نشترك في الجسد والدم لكي نحيا حسب الشركة، وهي أننا نحيا بالمسيح وللمسيح معاً في وحدة جسده ودمه، لنُصبح معاً جسد الرب وأعضاؤه أفراداً (١ كور ١٢: ٢٧) وبذلك نستطيع بمقارنة "الروحيات بالروحيات" (١كور ٢: ١٣)، أنْ نتعلم مِن سِر الشكر، سِر الثَّالوث القدوس، لأننا نشترك في جسدٍ واحدٍ، وكأسٍ واحدٍ، لنكون واحداً مع الرب، ومع كافة أعضاء جسده دون أنْ نفقد وجودنا وأُقنوم كياننا، بل نُصبح جسداً واحداً وروحاً واحداً، أي جسد المسيح. هذه الصيرورة والتحوُّل في علاقتنا، كلٌ بالآخر فيها عربون تذوُّق الثَّالوث القدوس، لأننا نصبح واحداً، ونبقى الأعضاء المتعددةَ المتكاثرةَ لمجد الله، وللوحدة التامة المماثلة لوحدة جوهر الثَّالوث.

٦٨- وتُصبح الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي) هي مرآةُ الوجود الخاص بنا كأفرادٍ. والوجود حسب الشركة كأعضاءٍ في وحدةٍ واحدةٍ، هي جوهر حياتنا الجديدة، أي جسد المسيح. فكل عضوٍ هو جسد المسيح، وهو في نفس الوقت عضوٌ متميز، وكل الجسد حياةً واحدةً وكياناً واحداً، وهو في نفس الوقت شركةُ أعضاءٍ متعددة، وبذلك يتم قول المُخلِّص: "ليكون الجميع واحداً فينا كما أننا نحن واحدٌ"

(يوحنا ١٧: ٢١).

٦٩- وعندما نتناول الجسد المُقدَّس والدم الكريم، فإننا نُدرِك أنَّ وحدتنا هي عطية المسيح لنا، وليست نابعةٌ مِن الطبيعة القديمة التي فينا، بل هي عطية الخليقة الجديدة. ونُصبح واحداً حسب عمل النعمة، وليس حسب الأهواء الإنسانية. وتجعلنا النعمة واحداً، أي جسد الرب يسوع المسيح نفسه. هذا يعني أننا ننتمي إلى ذات طبيعة جسد الرب، أي طبيعة آدم الثاني الربُ مِن السماء (١ كور ١٥: ٤٧)، فهو "بِكرٌ بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩). ووحدتنا معه هي وحدةٌ طبيعة، أي أننا مِن ذات جوهر ناسوت الرب الذي تكوَّن بالرُّوح القُدس في أحشاء القدِّيسة مريم، والذي يتكوَّن فينا في سِر المعمودية المُقَدَّس، والذي مُسِحَ بالرُّوح القُدس، وهو ما يُمسح فينا بواسطة الرب يسوع بالرُّوح القُدس في مِسحة الميرون، ويُصلَب في حياة القداسة والسلوك حسب النعمة، أي حسب الروح، حيث ينمو بالنعمة التي وُهِبَت في المعمودية والميرون، ويتغذَّى بالقُوت السماوي الخبز النازل مِن السماء الواهب الحياة الأبدية (يوحنا ٦: ٣٣) حيث يكتَشِف في المسيح كل يوم، في السِّر الإلهي الفائق، هذه الحياة الجديدة حسب نعمة الرب، تنمو في المسيح وبعمل الروح الواحد، لكي نكون للرب الواحد وللروح الواحد، أحياء في شركة الثَّالوث الواحد.

٧٠- وتعدُّد الأسرار إنما هو عملٌ مقصود حسب تدبير الخليقة الجديدة، لأن المعمودية تُجدِّد أصلنا، والميرون يُعطِي لنا القداسة والمواهب الروحية، والإفخارستيا تُعطِي لنا الغذاء الإلهي. نحن نُولَد في المعمودية، لكي نكون على صورة المسيح، ونشرب مِن الروح القُدس، لكي نبقَى أعضاء في الجسد الواحد (١ كور ١٢: ٢٧)، ونتغذى بالطعام الإلهي لكي ننمو صاعدين مِن الحياة التُرابية إلى الحياة السماوية.

نحن نكتشف سِر ميلادنا، ومسحتنا في الخدمة الإلهية (القُدَّاس الإلهي)، ليس لأن ما وُهِبَ لنا يضيع بالزمان ومرور الأيام. فلا دورٌ للنسيان في ثبات النعمة، لأن

النعمة ليست خاضعة لإرادة وفكر الإنسان، فالله لم يعطِ لنا نعمة ابنه الوحيد، وشركة الروح القُدس حسب فكرنا وحسب إرادتنا، بل حسب صلاحه وجُوده. وتحت إهمال الفكر وتراخي الإرادة والكسل، تنام الطبيعة الجديدة، التي لا يُدرِكها الفكر البشري إلاَّ مِن خلال الشركة في المسيح وبالرُّوح القُدس.

كان شيوخ الدير عندنا يقولون لنا إننا بالرُّوح القُدس نستطيع أنْ نرى جسد القيامة، ليس في شكله الكامل، بل في صورته الغير الكاملة؛ لأن الإعلانَ مؤجلٌ إلى يوم الدينونة. وقال الأب زكريا الصغير إنَّ جسد الرب يسوع المسيح على المذبح، هو صورة جسد قيامتنا، وشَرَحَ هذه الكلمات بقوله إنه جسدٌ واحدٌ يُوزَّع دون أن ينقسِم إلى عدة أجسادٍ، هكذا جسد قيامتنا، يكون جسداً واحداً في الكل حسب مجد المسيح الذي يُوزَّع على الكل حسب نعمة القيامة دون أن ينقسِم، بل تظل الطبيعة الجديدة القائمة من الموت، وهو ما يجعل أجسادنا مساوية لمجد جسد المسيح. وهنا يمكن أنْ نرى بعين الإيمان أنَّ المسيح يُوَزَّع دون أنْ ينقسِم؛ لأن الانقسام هو فعل الموت، أمَّا الوحدة فهي عمل القيامة. وكان بعض الشيوخ قد عاينوا نور الميرون الإلهي، وختم المسحة المُقدَّسة يشع بفيض نور المسيح على جبل طابور في أجسادهم، فأدركوا أنَّ الجسد النوراني، جسد المسيح، هو فيض هذا النور الذي به نتَّحد في السِّر الإلهي (الإفخارستيا) عندما نتَّحد به على المذبح، لكي نكون معه ذبيحة محبة.

٧١- ومِن الأسرار الإلهية، المعمودية المُقدَّسة، والمِسحة الملوكية (الميرون)، والسِّر السمائي ندخل حياة الشركة في المسيح، والتي هي تخلٍّ عن الحياة القديمة، ودخولنا حياة جحد الذات التي لا تُقَوَّم فيها حياتنا حسب مقاييس الأهواء والفكر، بل حسب مقياس الصليب، أي التخلِّي عن الحياة بسبب المحبة، لا بسبب الخضوع والقهر، لأن جحد الذات خوفاً مِن العقاب في الجحيم، أو بسبب الضغوط، أو شِدة أب الاعتراف، تُوَلِّدُ نُسكاً مزيفاً، كما تُقَوِّي الإرادة الإنسانية، ولكنها تجعل قوة الإرادة هذه، في العصيان الفكري، بينما قوة الإرادة في الحياة الجديدة، هي هبة المحبة في

الروح القُدس.

التعليم المسيحي عن الثَّالوث:

٧٢- الثَّالوث القدُّوس هو الوحدانية الحقيقية التي أُعلِنَت لنا في المسيح، وثبَّتها الروح القُدس بالمواهب، والقوات الروحية، والمعجزات، وقداسة الرُّسل وآباء الكنيسة، وشهادة الشهداء، وثبات المُعترفين، ووحي إنجيل ربنا يسوع المسيح يشهد لنا بأن أقانيم الثَّالوث هي جوهرٌ واحد.

لماذا ثلاثة أقانيم؟ والجواب هو أننا لا نعرف إلاَّ ثلاثة أقانيم حسب إعلان يسوع المسيح الذي أعلن الآب والرُّوح القُدس في تعاليمه وحياته وموته وقيامته.

٧٣- وما هو سبب إعلان الأقانيم؟ والجواب هو أنَّ أقانيم الثَّالوث هي وجودٌ متمايزٌ، فهي الأُبوة في أُقنوم الآب، والبنوة في أُقنوم الابن، والتقديس والثبات في أُقنوم الروح القُدس. هذه الأقانيم هي وجودٌ متمايزٌ يؤكِّد أنَّ لكل أُقنومٍ عملاً خاصاً في اللاهوت، وهذا التمايُز يؤكد لنا إنَّ تمايُز المخلوقات مُستمدٌ مِن تمايُز الأقانيم، لأن لكل مخلوق، أصلاً ومصدراً على شِبه الآب، وكل مخلوق له عمل معين على شبه الابن، ولكلِّ مخلوق حياةً خاصةً لا تتغيَّر على شبه عمل أُقنوم التقدِّيس، الروح القُدس. نحن نرى أنَّ الأشجار تبقى دائماً، أي تثبت في حدود طبعها ولونها ومسيرة حياتها، وكذلك الطيور والزروع والبشر. هذا كله يُعطى مِن أُقنوم الروح القُدس.

٧٤- وإذا استطعنا أنْ نُدرِك تمايُز الكائنات كقوةٍ تدفعها نحو الائتلاف والوحدة، استطعنا أنْ نُميِّز وحدة جوهر الثَّالوث المتمايز والواحد أيضاً. وعلى سبيل المثال؛ تجود الزروع بحياتها دون أنْ يكون لها قوةً عاقلةً، وحياةً متحركةً مثل الحيوانات، أي تجود بالحياة المتميزة عن حياة أكثر حرية ومُريدة (أي لها إرادة)، وهي حياة الحيوانات، لا سيما تلك التي تُظهِر إدراكاً أعلى، مثل الكلاب التي تُميِّز الصديق مِن العدو بسبب إقامتها مع أصحابها، ثم تجود الكائنات العاقلة، أي البشر، ليس بالحياة

وحدها، بل بالفكر أيضاً، ولذلك تنمو وتتغير حياة البشر ناميةً إلى أعلى، إلى حيث الابن الكلمة المُتجسِّد. وتمايُز الحياة العاقلة عن الحياة غير العاقلة هو تمايُز صورة حياة على شبه أُقنوم الروح القُدس الذي أعلن عن ذاته في الخليقة غير العاقلة، المياه، والألسنة النارية، والسحابة على جبل طابور، وعمود الغمام، والحمامة التي ظهرت في معمودية الرب مؤكِّداً أنه يلتصق بالخليقة لأنه مصدر حياة الخليقة حسب كلمات التقوى الأُرثوذكسية "**نؤمن بالرُّوح القُدس الرب المحيي**". وتمايُز حياة عن حياة يُؤخَذ مِن تمايُز أقانيم الثَّالوث؛ لأن الخليقة كلها حيةً بعمل نعمة الروح القُدس، ولذلك فهي لها تسبيحٌ خاص لا نسمعه نحن البشر، وإنما نشترك فيه بالكلمة وبالروح (ربما يقصد الكاتب بالابن، وبالرُّوح القُدس). ومِن ثم نُدرِك تمايُز الخليقة مِن تمايُز أقانيم الثَّالوث، لأن الثَّالوث هو أصل التمايز وسبب وجوده في الخليقة. وتمايُز الحياة غير العاقلة عن الحياة العاقلة، إنما هو مِن أجل بقاء الحياة على الأرض. فلو كانت للزروع والحيوانات قدرةُ نطقٍ وكلمة، لاستطاعت أنْ تعصي الإنسان وتمنع عنه الغذاء، فتنتهي بذلك الخليقة. لكن جُود كل كائن ينبع مِن حدود الطبيعة التي رسمها الروح القُدس لهذا الكائن، ولذلك يجود بكل كيانه مثل الزروع دون أنْ يعترض أو يُقاوم نظراً لصلاح الطبيعة التي أُعطيت له مِن الروح القُدس. وهكذا أدركنا نحن البشر أنَّ الروح القُدس يعمل في الخليقة ويُعطي لها مقداراً مِن جُوده لكي تجود بالحياة بغض النظر عن الذي ينال عطية الحياة المخلوقة، لأن الرب نفسه قال إنه يُشرِق شمسه على الأبرار والأشرار، ويُمطِر على الظالمين والقديسين (راجع متى ٥: ٤٥). وهكذا نحن نُدرِك أنَّ التمايُز هو سِر وحدة الخليقة، وتآلف عملها، وقيادة الروح القُدس لها نحو غاية وجودها، أي بقاء الشركة.

٧٥- إنَّ وحدة جوهر الثَّالوث ليست مِن تمايُز الأقانيم، بل إنَّ تمايُز الأقانيم هو الذي مِن وحدة الجوهر، وذلك بعكس الخليقة تماماً، لأن وحدة الخليقة، هي وحدةٌ مركبة مِن الكائنات غير العاقلة، والعاقلة والحية، مثل الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان. أمَّا وحدة جوهر الثَّالوث، فهي وحدةٌ بسيطة نقية بلا تركيب، وهي ليست

مجموعة طبائع. أمَّا سِر اجتماع الطبائع معاً في وحدةٍ مركبةٍ، فهو ظاهرٌ لنا مِن تـــدبير الله، لأن الوحدة المركبة هي وحدةُ تهذيبٍ وتعليم، لأن الإنسان ينمو ويتعلم حقيقـــة ذاته، وحقيقة الخليقة ونظامها، فيقترب مِن الله أكثر، ويُدرِك مقدار عظمته. ولا ينمو الإنسان بدون الوحدة المركبة التي تُعطي له أنْ يعرف جسده وعقله والآخرين وقـــوة الله الخالقة، فيتحد به ويحبه وينمو بحكمة الروح.

٧٦- أمَّا تمايُز أقانيم الثَّالوث، فهو قائم كعلاقة الآب بالابن وبالرُّوح القُدس، لأن جوهر الثَّالوث هو أُقنوم الآب الذي منه يُولَد الابن أزلياً، ومنـــه ينبثـــق الـــروح القُدس، ويصبح للابن كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأُبوة، وللروح كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأُبوة، وهكذا يصبح للآب كل صفات وقدرات الابن ما عدا البنوة، وكل صفات وقدرات الروح ما عدا الانبثاق. وبقولنا "**ما عدا**" فنحن لا نقـــع في خلط طبائع، بل نتمسك بتمايُز الأقانيم لأن تمايُز الأقانيم هو سِر خلاص الإنسانية. فكل صفةٍ أُقنوميةٍ، وهي الأُبوة والبنوة والتقديس أو الانبثاق، هي صفة خاصة تعمـــل مِن أجل إعطاء عطية خاصة، لكي تصبح خصوصية العطية، هي الهبة التي تحفظ تمـــايُز كل عضو في جسد المسيح عن الآخر، ولكي يبقى هذا التمايز هو سِر بقائنا في شركة الثَّالوث، لأننا سوف نظل، كل واحدٍ منا مُتمايزاً عن غيره مثل أو على مثـــال تمـــايُز أقانيم الثَّالوث لكي تفيض المحبة الإلهية وتقودنا نحو الوحدة، فلا وحدة بلا تمايُز.

٧٧- وعندما ننال التبني، فنحن ننال ذات العطية، ولكن مع عطيـــة البنـــوة يحفظ الروح القُدس ثبات كل إنسانٍ في التقديس متمايزاً عن غيره، إذ ينقـــل تمـــايُز الأقانيم إلينا لكي يبقى كل منا عضواً في جسد المسيح الواحد. وعندما ننـــال الحيـــاة الأبدية في الثَّالوث، يحفظ الروح القُدس كل واحدٍ منا حياً إلى الأبد، كابن لله علـــى مثال كمال الرب يسوع المسيح، وينال كل واحدٍ مِن الروح ذات تمايُز الابـــن عـــن الآب، وهو كما قلنا تمايُز بلا انفصال.

٧٨- هكذا يعمل الثَّالوث القدُّوس، فمِن حياةٍ واحدةٍ، وتمايُز أقانيم، يُشرِك

الخليقة غير العاقلة في تمايُزه على مستوى إنفراد كل كائن بعطية خاصة، ولكي يُشرِك الخليقة العاقلة على مستوى النعمة التي يتساوى فيها الكل، فلا توجد بنوة ناقصة أو زائدة، بل بنوة واحدة، ولا توجد حياة أبدية ناقصة أو زائدة، بل حياة أبدية واحدة يحفظها الروح القُدس بمحبته للبشر.

٧٩- وعندما ينال كل واحدٍ مِنَّا ميراثه السماوي مِن الثَّالوث، يحفظ الروح القُدس تمايُز كل أبناء الله، بواسطة شركة كل أبناء الله في تمايُز الأقانيم، وهو ذات التمايُز الذي رأيناه في الابن المُتجسِّد، والذي فيه قد وُهِبَ للإنسانية.

لا خلاص بدون تمايُز الأقانيم في الثَّالوث:

٨٠- أمَا وقد دخلت بلاد مصر دعوةٌ جديدةٌ للتوحيد، تُنكِر الثَّالوث، فقد تعيَّن علينا أنْ نقول لكل المؤمنين بالمسيح، إنه لا خلاص لنا بدون تمايُز أقانيم الثَّالوث. هذه هي دعوة إنجيل ابن الله ربنا يسوع المسيح لنا. وكل الذين يقبلون التوحيد الجديد، هم يُنكرون نعمة وسُكنى الروح القُدس، كما ينكرون تجسُّد ابن الله، وصلبه وقيامته، فهذه الإعلانات الإلهية هي التي أعطت لنا الإيمان بالثَّالوث القدُّوس. ونقول للكل، كشهودٍ أُمناء، إنه وإنْ كان الآباء لم يكتبوا شيئاً عن هذه الدعوة الجديدة، فإننا وقد تعلَّمنا أنْ لا ننطق إلاَّ بالحق، وأنْ نُحب الغرباء والأعداء، وأنْ لا نلعن ولا نكره، بل نتكلم بطهارة قلب ولسان حسب تعليم ربنا يسوع المسيح، فإننا لا نقبل هذا التوحيد لأنه يُنكر نعمة الخلاص، وينكر علينا هبة الحياة الأبدية. ودراسة البدعة الأريوسية تُعلِّمنا أنَّ التوحيد غير المُثلث لا يحفظ للإنسان صورة الله التي فيه، لأن الإنسان إذا عاش على الأرض و لم يتشبَّه بخالقه، فهو لا ينال إلاَّ وجوداً مُزيَّفاً كاذباً فيه أُلوهة كاذبة. وكل تعليم عن التوحيد، مهما كان، إنما نُميِّزه تمييزاً حقيقياً بما يُعلِّم به عن النعمة؛ لأن النعمة هي نهاية كل تعليم عن وحدانية الله. وكل توحيد مهما كان لا يعلم الإنسانية عن نعمة الله وشركة الإنسان في الحياة الإلهية هو تعطيل للتوحيد نفسه.

وهكذا يؤدي إنكار الثالوث إلى إنكار كل تعليم عن النعمة، ويعيد دور الشريعة كوسيطٍ بين الله والناس، ولم تُعطَ الشريعة للخلاص، بل كما يقول الرسول "بالشريعة معرفة الخطية" (رو ٣: ٢٠)، وبالشريعة معرفة الدينونة، ولذلك قال الرسول بولس إنَّ الناموس قد أُعطِي لكي تظهر طبيعة الخطية، بينما يعجز الناموس عن أنْ يُخلِّص الذين يحاولون أنْ يقتربوا به مِن الله.

٨١- توحيد الإنجيل هو تثليث أقانيم اللاهوت، وهو توحيد النعمة، وليس توحيد الشريعة، والفرق بين هذا وذاك، هو فرقٌ بين مَنْ يقول إنَّ الإنسان خالدٌ عديم الموت بالطبيعة، وبين مَنْ يقول إنَّ الإنسان خالدٌ عديم الموت بالنعمة، أي بالشركة في الطبيعة الإلهية. وخلود الإنسان بالطبيعة - بفرض صحته - يعني عدم شركته في طبيعة الله، وهو ما يعني أيضاً الظن بأنه يستطيع أنْ يتألَّه بواسطة حفظ الشريعة، وهي ذات حالة الانفصال عن الله. أمَّا نحن فنقول، إنَّ توحيد الإنجيل هو توحيد حفظ صورة الله في الإنسان بواسطة نعمة الله.

٨٢- وكما قلنا مِن قبل، إنَّ توحيد جوهر اللاهوت، وتمايُز الأقانيم هو سبب خلاصٍ أبدي لنا، لأننا نؤمن أننا ننال ذات صورة المسيح، آدم الجديد التي يُعيد خلقتها فينا، المسيح نفسه وبالرُّوح القُدس، فنكون حقاً صورة الله الكلمة المُتجسِّد التي يُعيد رسم حدودها المتمايزة في كل واحدٍ مِن المؤمنين روح يسوع المسيح. أمَّا التوحيد بلا ثالوث، فهو تعليمٌ ينفي حياة الشركة، لأننا لا نملك أنْ نشترك في الحياة الإلهية إلاَّ إذا كان في هذه الحياة ما هو متمايزٌ، ومُعلَنٌ في الله، وله أصل (جذر) في الإنسان، أي صورة الله. وإذا قُلنا إنَّ الله واحدٌ، وتوقفنا عند هذه العبارة، وأضفنا إليها كل الصفات والأسماء الحسنة، فإننا نجد أنها في النهاية لا تُعلِن لنا شركة متمايزة في الحياة الإلهية. فقد نكون رحماء، وحكماء مثل الله، ونتشبه به على قدر ما نستطيع، ولكن هذا يختلف عن شركتنا في بنوة الابن، لأن رحمة الله مُعلَنةٌ في الغفران والتغاضي عن خطايا البشر، وهو أمرٌ حميد وجيد، ولكنه أقل مِن البنوة، لأن الرحمة والحكمة، وغيرها مِن

الصفات ينتهي عملها بعد يوم الدينونة، أمَّا البنوة، فهي لا تنتهي بعد يوم الدينونة، بل تبقى مغروسةً في المحبة الإلهية. نحن نحتاج إلى حكمة الله لكي نُدرِك الخير، ونبتعد عن الشَّر، ولكن البنوة هي علاقةٌ خاصةٌ بمن هو آبٌ، نجد في أُبوته وبنوة ابنه أعظم إعلانٍ عن المحبة، وعن العلاقة الخاصة بيننا وبين الآب والابن والروح، هذا يكشف لنا عن تمايُز الأقانيم، لأنه تخصيصٌ ضروريٌ يجعل علاقتنا بالله علاقةً بذات الله، وليس بصفاته فقط. فالرحمة صفةٌ عامةٌ لا تبني علاقةً شخصيةً ذاتيةً تجود فيها الذات بما تملكه كشخصٍ، ويكون الجود هو ذاته العلاقة الشخصية الذاتية. نحن نشترك في الحياة الإلهية المتأقنمة، وليس في الحياة الإلهية غير المتأقنمة[1]. وهكذا رحمة الله هي رحمة الآب المعلنة في ابنه يسوع المسيح، أي أنها علاقةٌ شخصيةٌ (أُقنومية) بين الآب والابن ومُعلَنةٌ للخليقة. وهكذا سائر الصفات الإلهية، هي مُعلَنةٌ مِن أُقنومٍ مِن أقانيم الثَّالوث. أمَّا التوحيد بدون ثالوث، فهو توحيدٌ عامٌ، لا توجد فيه علاقة شخصية بين الله والبشر، ولا يوجد فيه تعليم عن مكانة ومصير الإنسان، ولذلك تقوم فيه الشريعة بدور الوسيط لأن الشريعةَ بدورها، هي علاقةٌ غير شخصيةٍ لا تُعطي مكانةً للإنسان عند الله، ولا تسمح له بالنمو إلى غاية وجوده، لأنها قاصرةٌ على منع الشَّر.

التوحيد والثَّالوث والصلاة:

٨٣- إنني في الوقت الحاضر، أكتفي بأن أُذكِّركم بما تحدثنا فيه بعد عيد قيامة الرب، وفي اجتماعنا مع الإخوة بأن صلاتنا حسب إنجيل ربنا يسوع المسيح هي دعوةٌ للنمو، ودعوةٌ لتجلي الجسد والروح بالنعمة، لكي نصبح مثل ربنا نفسه، كائناً نورانياً سماوياً يرتفع مِن رتبة آدم الأوَّل إلى رتبة آدم الأخير.

والصلاة هي تحوُّلٌ داخليٌ في القلب وفي الجسد لكي يرتفع إلى ذات عرش

([1]) يوجد فرق بين enhypostasia المتأقنم، أو في الأقنوم وبين anhypostasia غير المتأقنم، وحرف النفي اليوناني a، هو الفرق الوحيد بين الكلمتين. وقد ظهرت كلتا الكلمتين أثناء الحوار قبل، وبعد البدعة النسطورية.

ابن الله، ولذلك قال الربُ إن مَنْ يغلب في هذه الحرب الروحية، سوف ينال عرشاً مثل العرش الذي أعدَّه الآب للابن (رؤ ٣: ٢١). وصلاتنا على هذا النحو لا يمكن أن تُؤسَّس على توحيد ذات الله فقط، لأن كلمة ذات وجوهر وسائر الصفات الإلهية مهما كانت، تفقد أهميتها إذا لم يكن في جوهر وذات الله أقانيم الثَّالوث؛ لأن الأقانيم تُعلِن صفات الله (أي أن الأشخاص يعلنون الصفات، كصفاتٍ شخصية) أمَّا الجوهر أو الذات بدون أقانيم، فهو لا يُعلِن شيئاً حتى عن المحبة نفسها، لأنه ليس مطلوبٌ أنْ نتكلم عن المحبة بشكل عام (مجرد)، بل عن محبة يوحنا ومحبة بولس، ولذلك إذا أردنا المقارنة بين مستويات المحبة، فإن المقارنةَ لا تجوز بدون أنْ يكون لدينا محبةُ شخصٍ معين، تُقَارن مع محبة شخصٍ آخر. وهكذا نحن نتكلم عن محبة الآب ومحبة الابن وروح المحبة، الروح القُدس (رو ٥: ٥). ومِن هذا نُدرِك أنَّ الصلاة للإله الواحد، هي فرضٌ وواجبٌ، ولكن الصلاة للثالوث وفي الثَّالوث، هي حياةٌ تنمو صاعدةً نحو مجد ذاك الذي أعطانا حياته لكي تُصبح مثالاً (منهجاً) للصلاة. ومَنْ يُصلي لإله واحدٍ، لا يُخطِئ، ولكنه يبقى في مكانه الذي تحدده الشريعة لا ينمو، ولكن مَنْ يُصلي للآب في ابنه يسوع المسيح وبالرُّوح القُدس ينال ذات العلاقة التي بين أقانيم الثَّالوث. ولأجل ذلك السبب عينه قال الرسول بولس: "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤).

٨٤- لِنُصلِّ في الابن ربنا يسوع المسيح؛ لأن أية صلاة ليست فيه هو، أي باسمه، هي صلاةٌ باطلةٌ، قد تعود بنفعٍ مؤقتٍ، ولكنها لا تحمل وعد النمو والشركة مع الآب في ابنه. وقد كَتَبتُ رسالةً للأب المُتوحِّد تيموثاوس عن شفاعة الروح القُدس، وقبلها رسالةٌ أُخرى للإخوة حول نفس الموضوع، وكلاهما يُلخِّص تعليم المسيح، وهو إننا نستلم الصلاة مِن الله نفسه، ومِن الله ننال العون والنعمة لكي ندخل هذا الهيكل السمائي المُقدَّس، أي الصلاة، لكي نصير أبناء للآب مشتركين في بنوة ابنه يسوع المسيح.

خاتمة:

٨٥- أتوسل إلى الآب السماوي الذي أعطانا حياة ابنه لكي نحيا به وفيه، أنْ يكون لنا فرح الخليقة الجديدة بالثَّالوث القُدُّوس، وأنْ لا نتزعزع عن الطريق الـــذي نسير فيه، أو نحيد عنه لأنه طريق القديسين، ولأنه ذات الطريق الذي رسمه لنـــا ربنـــا يسوع المسيح نفسه، الذي قال: "أنا هو الطريق إلى الحياة الحقيقية"[1] (يوحنـــا ١٤: ٦).

صفرونيوس يسأل بركة صلواتكم.

---

(١) حسب الترجمة القبطية.

ملحق[1]:

تاريخ وأسباب
استخدام كلمتي جوهر وأُقنوم
عند الآباء

أولاً: كلمة أُقنوم Hypostasis Ηποστασις

كلمة أُقنوم هي تحريفٌ للكلمة السريانية "قنوما"، والكلمة اليونانية شائعة جداً في العالم القديم. استخدمت في الطب والعلوم والفلسفة والكتابات الدينية.

استخدمها أبوقراط مؤسِّس الطب اليوناني القديم في وصف إصابات العمود الفقري، عندما يعجز عن أنْ "يدعِّم" قدرة الإنسان على الحركة. فالعامود الفقري هو الدعامة، أو *Support*.

واستخدمها أرسطو في الكلام عن الحيوانات التي تسير على أربعة أرجل، وتستخدم الأطراف الأمامية لكي تدعم حركة الرجلين الخلفيتين.

واستُخدِمت بمعنى الرواسب التي تتكون بعد استقرار السوائل، أي *Sediment*.

وفي الفلسفة، وعلى يد الرواقيين صار الاسم ***Hypostasis*** يعني "الكيان"، أو "الوجود"، واشتُق من الاسم، الفعل بمعنى "يوجد"، أو "يكون". وتطور المعنى من

---

[1] أُخذ هذا المُلحق عن كتابي "الثالوث" و"الوجود شركة" للأسقف يوحنا زيزيولاس، بتصرف.

مجرد الوجود، أو الكينونة إلى الوجود الفعلي، أو الحقيقي.

وفي الأدب صار الاسم يعني الوجود الحقيقي خلف، أو الكامن وراء ما هو منظور.

الترجمة السبعينية:

ورد الاسم حوالي عشرين مرة في العهد القديم، وهو ترجمة لما يقرُب من اثنتي عشرة كلمة عبرانية. إنَّ ما يجب أنْ نراه هنا، هو كيف تحوَّلت الكلمة *Hypostasis* إلى "الشيء الخاص الذي يملكه البشر"، كما في استيلاء المديانيين على كل ما يخص إسرائيل، حتى أنهم لم يتركوا لهم شيئاً. فحسب السبعينية "πovτo υποστασιv ξωης"، وهذا هو ما حوَّل الكلمة إلى ما هو خاص، أي ما يملكه إنسانٍ معين، أو شعبٍ معين.

ولأن الكلمة تعني ما هو كائن وموجود في الواقع، لذلك تَرجمَت السبعينية نص حزقيال ٢٦: ١١ إلى "وتسقط الأعمدة القوية"، أي تسقط القوة، أو عنصر القوة، أو قاعدة القوة. وكذلك في عبارة نُعمى لراعوث: ليس لديها رجاء، أي لا يوجد لديها وجود للرجاء بالمرة (را ١: ١٢).

العهد الجديد:

أهم استعمالات العهد الجديد، هو نص عب ١: ٣؛ لأن الابن هو "رسم جوهر، أو (أُقنوم) الآب"، أي رسم الوجود الإلهي، أو الكينونة الإلهية.

وأيضاً نص عب ١١: ١ الإيمان هو جوهر الرجاء، أو كينونة الرجاء حسب الأصل اليوناني:

"Εστιν δε πιστις ελπιξομενων υποστασις".

و لم تعرف الترجمات الخاصة بالعهد الجديد كلمة "ثقة"، (حسب الترجمة البروتستانتية لمارتن لوثر: "الإيمان هو الثقة التامة بما يُرجى")، ولكن لوثر عدل عن الترجمة، واعتمد "الثقة"[١]، بينما اعتبر الآباء إنَّ معني النص، هو إنَّ جوهر، أو قوام الإيمان هو الرجاء.

استعمال كلمة أُقنوم في غير الكلام عن الثالوث:

نظراً لضيق المجال نكتفي بعرض عبارات موجزة من كتابات الآباء. ففي العظة ٣ : ٤٣ يذكر القديس مكاريوس "إن العُملة المزيفة تلمع إذا غُمِسَت في الذهب، وتكتسب ذات بريق الذهب، ولكن يظل **جوهرها** معدن رخيص". ويذكر القديس ابيفانيوس "إن الإنسان بمرور الزمن سوف يكتشف **قوام**، أو جوهر الوصايا الإلهية" (ضد الهرطقات ٦٦: ٧١). وفي الدفاع يقول أثيناغوراس "إن الملائكة الذين سقطوا قد أهانوا كيانهم" (٢٤: ٤). وعندما يشرح القديس إيرينيؤس قيامة الجسد، يذكر "تحوُّل المائت والفاسد إلى الخالد وعديم الفساد، ليس **بقدرات** ذاتية لكيان الإنسان، بل **بقوة** الرب يسوع المسيح" (ضد الهرطقات ٥: ١٣ - ٣). ويدافع القديس أكليمنضس السكندري عن "وحدة الكنيسة الجامعة التي لها **قوام**، أو جوهر واحد" (المتنوعات ٧: ١٧)، "بينما الهرطقات لها أكثر من مصدر، ولذلك فالذين يتبعون الهرطقات، لا ينتمون إلى ذات الأصل أو **القوام** الواحد، أي الكنيسة الجامعة". وحتى الشيطان حسب شرح العلاَّمة أُوريجينوس "ليس له **قوام** فاسد، وإنما خُلِقَ صالحاً وله قوام أو جوهر صالح، أفسده هو بالخطية" (شرح إنجيل يوحنا ٢: ٢١ فقرة ١٧٤).

ويظهر المعنى أكثر في عبارة القديس أكليمنضس السكندري حيث يذكر "إن

---

(١) راجع المجلد الثاني من قاموس المصطلحات اللاهوتية للعهد الجديد:

Theological Dictionary of the New Testament, ed by G. Kittl, p 586.

الرسول بولس يؤكد أن معرفة الخطية أعلنها الناموس، ولا يذكر الرسول بـــولس إن الخطية أخذت **كيانها** من الناموس" (المتنوعات ٢: ٧ - ٣٥: ١٠). ومن هنا جاء تعبير القديس أثناسيوس من "أن الوجود خير، لأن الوجود له Hypostasis والشر عدم، لأن الشر من اختراع عقل الإنسان، و لم يخلقه الله" (ضد الوثنيين ف ٦).

كلمة "أُقنوم" كما استعملها الآباء للثالوث:

إذا كانت هذه الكلمة الهامة قد استُعمِلت في الطـــب والفلســـفة والمعرفـــة الإنسانية بشكل عام، فلماذا استخدمها الآباء في شرح عقيدة الثالوث؟

أولاً: تجسد الابن الوحيد:

كان التجسد هو الحدث الأعظم، والأكبر الذي جعل تمييز الآب عن الابـــن ضرورياً. فالحدث هو الذي خلق ضرورة استعمال الكلمة، فقد أرســـل الآب ابنـــه الوحيد. هذه العبارة المُوجزة لا يمكن أن تمر في حياة وصـــلوات المســـيحيين دون أن تعطي لكلمة أُقنوم مكاناً هاماً؛ لأن الابن الذي جاء من عند الآب هـــو غـــير الآب. وهكذا جاء استعمال هذه الكلمة - ربما لأول مرة - عند العلاَّمة أوريجينوس في الرد على كلسوس (٨: ١٢) حيث يقول: "الآب والابن هما أُقنومان"، وأضاف أوريجينوس كلمة أُخرى غير شائعة في الأدب اليوناني، و لم تستخدم في الترجمة السبعينية، وهـــي كلمة Pragmata أي الوجود الخاص، أو الوجود المتمايز، أي ما هو كائن حقاً في الأُقنوم، أي أن الأُبوة والبنوة معاً هما Pragmata (شرح إنجيل يوحنا ٢: ١٠، ٥) لأن تمايز الآب عن الابن يشرح لنا حقيقة مجيء الابن بالجسد من أجل خلاصنا.

ثانياً: تدبير الخلاص:

إن غاية التدبير هو إعادة الشركة المقطوعة بين الإنسان والله، وحسب تسليم الآباء: كل شيء من الآب (الأصل)، بالابن (مُعلَّن)، ويُعطى بالرُّوح القُدس (العطية أو

الهبة). هذه العبارة المُوجزة جداً، هي خُلاصة التعليم الأُرثوذكسي الآبائي كله. فالآب هو الينبوع حسب شرح القديس أثناسيوس (الرد على الأريوسيين، المقالة الأولى ١٩) والابن هو "ماء" هذا الينبوع، والرُّوح القُدس هو العطية، أي تذوُّق الماء (رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون).

وهكذا نجد أن تدبير الخلاص كائنٌ في الآب، مُعلنٌ في الابن، ومُعطى بالرُّوح القُدس. فلماذا يجب علينا أن نحفظ هذا التمايز؟ والجواب هو:-

١- لأن الله أعلن لنا هذه الحقيقة.

٢- لأن مجيء الابن متجسداً، وانسكاب الروح القُدس علينا هو عمل الثالوث في الزمان، وفي التاريخ لكي يحفظ لنا هذا العمل حقيقة الخلاص.

٣- وحقيقة الخلاص هي حفظ تمايز المخلوق عن الخالق، رغم انسكاب الحياة الإلهية فينا.

٤- انسكاب حياة الثالوث فينا، كعطيةٍ إلهيةٍ هي أصلاً عائدة إلى تمايز الأقانيم. فقد وهبنا التبني، أي عطية خاصة أصلها في تمايز الآب والابن، لأننا نشترك حسب النعمة الإلهية في بنوة الابن للآب، ولذلك نحن نصرخ معه " أبَّا أيها الآب " (غلا ٤: ٤ - ٥)، ووهبنا سُكنى الروح القُدس، وسُكنى الروح القُدس هي عطية خاصة أصلها في انبثاق الروح القُدس من الآب وحده، ثم انسكاب هذه العطية فينا بواسطة الابن. هنا بالذات يحدد لاهوت الآباء ضرورة الإيمان بأن المسيح وحده هو الذي يُعطي الروح القُدس من عند الآب، لأن عطية الروح القُدس لا يمكن أن تُوهب إلاَّ إذا تقدست الطبيعة الإنسانية، وتم تحريرها من الفساد والخطية، وهو العمل الذي لأجله تجسد الابن ومات وقام.

فالابن يولد أزلياً من الآب، والروح ينبثق أزلياً من الآب، والولادة من أصل عطية التبني والانبثاق هو أصل عطية سُكنى الروح القُدس فينا.

فالخلاص لا يمكن شرحه، أو اختباره إذا كان الله هو أُقنوم واحد.

الوجود الخاص، أو المُتمايز في جوهر الله:

في مرحلة الصراع ضد الهرطقة الأريوسية، لم يُميِّز الآباء بين الجوهر والأُقنوم؛ لأن كلمة ousia لها نفس المعنى اللغوي لكلمة Hypostasis، ولكــن تطــور الصراع اللاهوتي ضد الأريوسية ألزم الآباء بضرورة التخلِّي عن المعنى العام الشائع في الأدب اليوناني، والالتزام بالمعنى اللاهوتي حسب الاختبار المسيحي.

كان الآباء باسيليوس، وغريغوريوس النزينزي، وغريغوريوس النيصي، هم أوَّل مَن أصر على ضرورة الاحتفاظ بكلمة " جوهر " لشرح ما هو عام في الله، والاحتفاظ بكلمة "أُقنوم" لشرح ما هو خاص في الله. هكذا كل صــفات الله مثــل القداســة، والقوة، والحكمة، والمحبة، هي صفات جوهر الله، هي ما يشترك فيه كل أُقنوم؛ لأنــه واحد مع غيره. أمَّا صفة الأُبوة، فهي صفةٌ خاصة بالآب، كذلك صفة البنوة، هــي صفة خاصة بالابن، وأيضاً الانبثاق، هي صفة خاصة بالرُّوح القُدس.

ومرةٌ أُخرى، كان تجسد الابن وموته وقيامته وصعوده إلى السموات، حيث يملك عن يمين الآب هو الإعلان الذي جعل تمايُز الابن والآب ضرورياً. كذلك كــان الحدث العظيم، يوم العُنصرة وانسكاب الروح القُدس بشكل جديد علينا نحن البشر، هو الحدث والإعلان الذي جعل تمايُز الروح عن الابن ضرورياً؛ لأن الــروح جــاء كعطية أُخرى حسب عبارة الرب " وأنا اطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤: ١٦).

ومن واقع الاختبار المسيحي، نستطيع أنْ نرى تمايُز الأقانيم يبدو واضحاً في:

أولاً: في الصلاة التي تقدم للآب باسم، أو في شخص الابن رأس الكنيســة، ورئيس الكهنة.

ثانياً: في شفاعة الروح القُدس الذي يعلمنا كيف نُصلِّي في المسيح، لكي ننال مكاننا في الله و"كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا؛ لأننا لسنا نعلم ما نُصلِّي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّاتٍ لا يُنطَق بها" (رو ٨: ٢٦).

ثالثاً: في الأسرار الكنسية، لاسيما في المعمودية والميرون والإفخارستيا، وهي الأسرار الثلاثة التي تُعطى لكل مؤمن، والتي تكمِّل شركتنا في الثالوث، وفي شركة الكنيسة، أي القديسين، وفي حياة الدهر الآتي التي تُعلَن لنا في القداسات عندما نشترك في تسبيح الثالوث القدوس مع الشاروبيم والسيرافيم والطغمات السماوية.

الجوهر والأُقنوم حسب الحياة الروحية الأُرثوذكسية:

من رسالة الأب صفرونيوس هذه، ومن باقي كتابات الآباء، ندرك أن عبارة الجوهر الواحد تساوي التوحيد، وإن توحيد المسيحية قائم على وحدة جوهر الله. نحن نؤمن بإله واحد كما نقول في قانون الإيمان، والإله الواحد هو الثالوث الذي له جوهر واحد – حياة واحدة – إرادة واحدة. هذا يجعل الحياة الأُرثوذكسية حياة عبادة وصلاة لإله واحد، له حياة واحدة معلنة في الثالوث القدوس. وإذا بدأنا بالتوحيد، أي وحدانية الجوهر، فإننا نختم بالثالوث، وإذا بدأنا بالثالوث، فإننا نختم بالجوهر الواحد. هذا هو ما يُميِّز كل صلوات الكنيسة الأُرثوذكسية.

وحسب الحياة الروحية الأُرثوذكسية، فإننا لا ننال شيئاً من الآب إلاَّ بواسطة الابن. وهكذا أصبح إدراك نعمة الله يتوقف على استيعاب كلمة أُقنوم؛ لأنها الكلمة التي تحمل لنا غنى النعمة الإلهية. ونحن لا ننال شيئاً في الابن إلاَّ بواسطة الروح القُدس.

وحسب رسالة الآب صفرونيوس وحسب تعليم الآباء، نحن لا ندخل شركة الحياة الإلهية بقدراتنا وتصوراتنا، بل قد وضع الثالوثُ النعمةَ تحت سلطان وإعلان الروح القُدس؛ لكي يمنع كل تصورات العقل وتشامخ الفكر من أن تُلوِّث محبة وعطية الله.

فالحركة الإلهية، أي حركة المحبة في الثالوث تبدأ من الآب، وتُعلَّن في الابـــن، وتُعطى بالرُّوح القُدس، مع ملاحظة أننا نحن في الابن بسبب إتحاده بالطبيعة الإنسانية.

يقول الأب صفرونيوس في رسالته للأب زكريا (لم تُنشر بعد):

" عندما نقول إننا في الابن بسبب تجسده، فإننا نعني ثلاثة أشياء:

أولاً: إنه هو رأس الكنيسة والوسيط الوحيد الذي جمع في أُقنومـــه الإلهـــي، ووحد به الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله.

ثانياً: إننا لنا وجود دائم لا يمكن أن تفصله الخطية، لأنه وجود حسب اتحـــاد إلهي بالناسوت، وليس حسب إرادة وقدرة الطبيعة الإنسانية للمؤمنين، بـــل حســـب قدرة ومحبة الطبيعة الإلهية التي جعلت الناسوت واحداً مع اللاهوت بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير.

ثالثاً: إنَّ وجودنا في الابن هو وجود نعمةٍ بالنسبة لنا، ووجود إتحاد حقيقي لا انفصال فيه بالنسبة لناسوت الابن، وهو ما سوف يُعلن فينا في اليوم الأخـــير؛ لأننـــا سنكون مثل المسيح، أي مثل إتحاد اللاهوت بالناسوت، حسب التسليم الرسولي "أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله (أي لنا وجود نعمة التبني في المسيح)، ولم يظهر بعد مـــاذا سنكون (لأننا لا ندرك بعد حقيقة، وعمق إتحاد اللاهوت بالناسوت)، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِرَ (أي في اليوم الأخير) نكون مثله (أي مثل إتحاد لاهوته بالناســـوت) لأننـــا سنراه كما هو" [أي سنرى، أي سيُعلَن فينا المجد المخفي الذي لا يمكن للزمان الحاضر أن يعلنه، لأنه عاجزٌ أمام قوة ومحبة المسيح] (راجع ١يو ٥: ٢).

هكذا لا يمكن أن نفهم التجسد بدون الثالوث، ولا أي تعليم عن التـــبني، أو سُكنى الروح القُدس بدون الثالوث. ونكتفي بأن نترك للقارئ أن يتـــذوق كلمـــات التقوى الأُرثوذكسية للأب صفرونيوس.